

ذخائر العرب

٢٨

نساء الخلفاء

المسقى

جهات الإئمة الخلفاء من الرأئرو الإماء

تألف

تاج الدين أبى طالب على بن أنجب المعروف بابن الساعى

الخازن البغدادى المتوفى ٦٧٤هـ

حققه وعلق عليه

الدكتور مصطفى جواد



دار المعارف بمصر

!

.

,

.

.

.

-

نساء الخلفاء

المسقى

جهات الأئمة الخلفاء من الرأى والإمام

—

.

.

.

.

.

.

نساء الخلفاء

المسقى

جهات الأئمة الخلفاء من الدوائر والإماء

Ibn al-Sā'i, 'Alī ibn Anjāl,

Nisā' al-Khulafā'

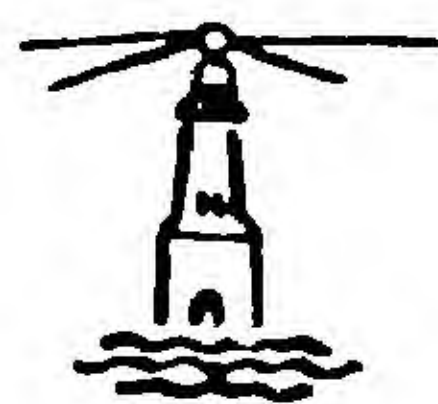
تأليف

تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي

الخازن البغدادي المتوفى ٦٧٤هـ

حققه وعلق عليه

الدكتور مصطفى جواد



دار المعارف بمصر

لغز الخرافات

لغز الخرافات - لغز الخرافات

DS
234
I34



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أما بعد فقد سمعنا من رب العالمين، والسلام على سيدنا محمد وآله
الجميعين، فإني لما اجتمعت كبار أخبار من أدرت خلافة ولدها
من حبان الخلفاء وإن المعروف والعطا اجبت أن أذكر من
اشتهر ذكرهم بخطايا الخلفاء الحارثيين من الأئمة، وبالله التوفيق
حمادة بنت عيسى

روحة الامام أبي جعفر عبد الله المشهوره أخ أبي عبد الله
أبي علي الأئمة إجماعاً، ولما أخبرنا أبو الحسن محمد الشيباني
أخيراً أحمد بن علي الحافظ أخيراً الحسن بن علي أخيراً أبو سهل أحمد

محرر

الامم الخلفاء لم اذكر ما في كتابنا من اركان علامة في ايامهم
الاعلى اذ كانت المعروفة العظام فسطح المديني في حيا روم
از احمد بن طه لولن من ايامهم واما الامام المعتمد فانه من سنة
الها بمشرو ووصلت الى ايام ادم بن محمد مع الارمن سنة ثمان
ومايز ورفت اليه وكان منها من الخمار ما لا يجاد ان يوصله
في حراير ملوك الارمن وكانت من افعال النساء والاشهر في ايام
ابوالنسنه على بن عبد الرحمن بن علي بن احمد بن المقرئ بن علي
اللداني قال في سنة ثمان في ايام ابو غالب بن محمد قال في سنة ثمان
يقول يومئذ قد جرى ذكر للفرق بين احمد بن طه لولن وبقية المعتمد بن

وهي ام السلطان محمود توفي في اربع وعشرين نولي الملك بعد
تدبره اربعة وكان معها عشرة الاف مملوك تركي دبرت الملك
وقادت الجيوش الى ان قويت في شهر رمضان سنة سبع وثمانين
واربع مائة ولما ماتت اغل امرائها محمود بموتها ونعت لك موته
في سوال من السنة المذكورة زيد بنيت بركات
روية السلطان محمود كانت بحلب موصوفة بالجزيرة وفي سنة
اثنين وثمانين وخمس مائة تم كتاب حجاب الامم الخلفاء الجراء
والاعاير مع ما اختلف فيه من شعورى حجاب السادة الابرار الخلفاء
من الوزراء والوزراء اربعة حجاب لوفد العامة على اربعة عشر
حجاب الله عز وجل من حجابات

تصدير

ابن الساعي مؤلف الكتاب وعصره

تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي الموصوف بالخازن كان بغدادياً ، وقد ولد ببغداد سنة ٥٩٣ هـ - ١١٩٦ م ، على عهد الخليفة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله العباسي ، وكان عهداً زاهراً ، وطُدت فيه الدولة العباسية استقلالها ، وآمنت فيه الرعية من كل خوف ، فرتعت في طمأنينة مُستدامة ، وعدل شامل ، وحرية واسعة ، وعيش رغيد ، وقد ذكره ابن جبير الرحالة في كتابه قال : « وقد يظهر الخليفة في بعض الأحيان بدجلة راكباً في زورق ، وقد يصيد في بعض الأوقات في البرية ، وظهوره على حالة اختصار ، تعمية لأمره على العامة ، فلا يزداد أمره مع تلك التعمية إلا أشتهاراً ، وهو مع ذلك يحبُّ الظهور للعامة ويؤثر التحبُّب لهم ، وهو ميمون النقية عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاءاً وعدلاً وطيب عيشاً فالكبير والصغير منهم داع له ^(١) » .

وقال محبُّ الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي : « دانت السلاطين للناصر ودخل في طاعته من كان من المخالفين ، وذلت له العُتة والطغاة ، وانتهرت بسيفه الجبابرة ، واندحض أعداؤه ، وكثر أنصاره ، وفتح البلاد العديدة ، وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدّم من الخلفاء والملوك ، وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين ، وكان أسد بني العباس ، تتصدع لهيبته الجبال ، وكان حسن الخلق ، لطيف الخلق ، كامل الظرف ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، له التوقيعات المسدّدة ،

(١) رحلة ابن جبير ، طبعة ليدن الثانية ص ٢٢٦ .

والكلمات المؤيدة ، وكانت أيامه غرّة في وجه الدهر ودُرّة في تاج الفخر ^(١) .

وقال أبو عبدالله محمد بن سعيد بن الدّيبثيّ الواسطي : « ولما نزل الرعية في ظله وإنعامه يرجعون إلى أوفى أمنٍ ، وأوفر فضل وأكمل منٍّ ، وأوسع معيشة ، وأرضى حياة وعيشة ، يعمّهم العدل ، ويشملهم الفضل ، وتغمرهم الصدقات ، وتغنيهم الصّلات ، وعمر المساجد ، وجدّد المشاهد ، وأنشأ الأربطة والمدارس ، وأحيا من الخيرات كلّ دارس ، فأنخلق في إنعامه راتعون ، وله بدوام الملك وطول الحياة داعون ، والله تعالى يستجيب فيه دعاءهم ، ويحرّس من الغير شريف سُدّته ، ويُحييه ما أحب الحياة ، إنّه جواد كريم . ومناقبه الشريفة ، وفضائله الكريمة أوفر من أن يحيط بها وَصْفُ الواصفين ، ويَحْصُرُها تدوين المصنفين ، فنحن وإن رُمنا ذكر بعضها فبِعجزِنا مُقَرِّون ، وعن بلوغ الغاية فيها مُقَصِّرون ^(٢) » .

وقال الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : « كان الناصر شاباً مرحاً عنده ميعة الشباب ، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل ، والناس يتهيبون لقاءه ^(٣) . وكان قد ملأ القلوب هيبَةً وخيفة ، فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد ، فأحيا هيبة الخلافة ، وكانت قد ماتت بموت المعتصم ، ثم ماتت بموته ، وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرى ذكره في خلواتهم خَفَضُوا أصواتهم هيبَةً [له] وإجلالا ^(٤) » .

وقال أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي : « وأخذَ [الناصر] ، الأمر حقاً وقوّة ، وفتح البلاد طاعة وعنوة ، وطبّقتْ دعوتُهُ جميعَ الآفاق ، وطلعت شمسُهُ باهرة الإشراق ، وأوقعَ بوزراء السوء على الإطلاق ، وقامَ بما عليه من العهد والميثاق .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٤٦١ ، ٤٦٢ من طبعة الهند .

(٢) المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبثيّ « ١ : ص ٣٦ من المستدرك » .

(٣) نكت الهميان « ص ٩٣ » .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٤٦١ » طبعة بلاد الهند .

وقد دخلت بغداد مراراً ، واستأذنت سُدَّةَ الخلافة الناصرية — جعل الله الأقدار لها أنصاراً — في الرواية بها وبواسطة القصب ، فأذن لي سرّاً وجهرّاً ، فامتثلتُ الإذن ، وقطعت من كبار المصنفات أسفاراً ، واستضأت من علوم السنة بما يُعَدُّ مع الصبح إشراقاً وإسفاراً ، فحقُّهُ أولُ واجبٍ يُؤدَّى ، وأوجبُ حقٍ يُبدَى ، فهو الخليفة الإمام الأهدى ، صنو الغمام الأسكب الأندى ، ومليك الأمة الذى جاوز ملكه المدى ، واحتاز الملوك عِبدى ، وتبدى علمه نوراً على علم الهدى ، فعلم وهدى ، وغمر بالجدى ، وحكم المناصل فى هام العدى ، وحكم للبأس تارةً وطوراً للندى :

ترتاح أندية الندى والبأس من ذكر مولانا أبى العباس
نجل الخلائف وابن عم محمد خير البرية من جميع الناس^(١) .

وقال أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى السامح : «فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب ، وكان الواجب أن نبتدى بذكر مدينة السلام — حرَّسها الله تعالى — إذ بها إمام المسلمين وخليفة الموحِّدين ، وأمير المؤمنين وابن عمِّ سيد المرسلين الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين (كذا) ابن الإمام المستضىء بأمر الله ، الذى رفع المظالم ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وأقام حدود الله ، وأحيا سنة رسوله ، وعمر الشريعة ، وأظهر الصنعة ، وفقه الله لطاعته ، وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته ، بمحمد وآله وعترته^(٢) » .

وقال ابن واصل الحموى : « كان الناصر لدين الله شهماً أبى النفس حازماً متيقظاً ، ذا فكرة صائبة وعقل رزين ودهاء ومكر ، وكانت هيئته عظيمة جدّاً ، وكان له أصحاب أخبار فى العراق وسائر الأطراف يطالعونه بمجزئيات الأمور وكلياتها ، وكان

(١) النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس « ١٦٥ ، ١٦٦ » طبعة الأستاذ العزاوى .

(٢) الإشارات إلى الزيارات ص ١ ، ٢ « طبعة جانين سورديل بدمشق سنة ١٩٥٣ » .

لا يخفى عليه من الأمور إلا ما قلّ ، وكان ذا سطوة شديدة ، فكان أهل العرق يخاف أحدهم [التحدث] مع زوجته في منزله ، ربّما يظن أن الخليفة إذا بلغه ذلك عاقب عليه ^(١) .

وقال الذهبي . « لم يَلِ الخلافة أحد أطول مدّة منه فإنه أقام فيها سبعاً وأربعين سنة ، ولم يزل مدة حياته في عزّ وجلالة ، وقمع للأعداء واستظهار على الملوك ، ولم يجد ضيماً ، ولا خرج عليه خارجي إلا قمه . ولا يخالف إلا دفعه ، وكلّ من أضمر له سوء أرماه الله بالخذلان ، وكان مع سعادة جدّه شديد الاهتمام بمصالح الملك ، لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيّته كبارهم وصغارهم ، وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يُوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة ، وكانت له حيلٌ لطيفة ، ومكايد غامضة ، وخُدَع لا يَفْطُنُ لها أحد ، يُوقع الصداقة بين ملوك مُتَعَادِينَ وهم لا يشعرون ، ويوقع العداوة بين ملوك مُتَّفِقِينَ وهم لا يَفْطِنُونَ ^(٢) » .

وفي الحق أن عهد الناصر لدين الله كان عصر ازدهار للسياسة العربية والثقافة العقلية ، على اختلاف أنواعها ، والثقافة الجسميّة على تعدّد ضروبها ، فالازدهار السياسي قد نقلنا عليه شواهد من أقوال ثقات المؤرخين ، ولم نستطع أن نتبسط في الكلام عليه لضيق المكان ، وأمّا الازدهار الثقافي العقلي فقد بدا في مظاهره الأصلية ، وهي المدارس والرُّبُطُ « الخانقاهات » فإنها معاهد روحية وعقلية معاً ، ودُورُ الكتب وخزائنها ، والتأليف باختلاف موضوعاتها ، وإقبال دولة الشعر بعد إدبارها ، ونبوغ الشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين والمحدثين والفقهاء والبلدانيين وأرباب الفنون

(١) شفاء القلوب بأخبار بني أيوب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، ١٧٠٢ الورقة ٢٣١ » وقد سميت هذه النسخة « تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين » . والظاهر أن الواصلين تصحيّف « الواصل » .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ » طبعة بلاد الهند . ونقل هذا الكلام الصلاح الصفدي في نكت الهميان « ص ٩٤ » ولم يشر إلى قائله .

والعلماء والفلاسفة والمدرسين والمهندسين والأطباء ، وكان الناصر قد جعل للشعراء ديواناً خاصاً في الدولة يسمى « ديوان الشعراء » وُسِّمَتِ الشعراء المثبتة أسماؤهم فيه « شعراء الديوان » أى ديوان الدولة العباسية .

فالشعراء الذين نبغوا ، والذين اشتهروا على عهد الناصر لدين الله هم سبط ابن التعاويذى صاحب الديوان المطبوع ، الحافل بالشعر ، البالغ قمة الكمال من حيث الصناعة الشعرية ، والأبله^(١) البغدادي صاحب الديوان المشتمل على فنون المدح والغزل ، وابن المعلم الواسطي الهروي الشاعر الرقيق ، الذي شرقت قصائده وغربت وغارت وأنجبت ، وابن الدينير المنذرى الموصلى صاحب الديوان الرائع الرائق^(٢) ، وعبد المنعم المصرى النظرونى المهاجر إلى العراق الداخل — كان — فى خدمة الخليفة الناصر لدين الله سفيراً بينه وبين الملوك التابعين له ، وعبد الواحد بن عبد الرحمن ابن منصور المصرى الطائى المنتقل من مصر إلى العراق انتقال استيطان ، وأبو الأمانة جبريل بن صارم المصرى الصَّعْبى ، القادم من مصر إلى العراق للسكنى فيها ، والباز الأشهب علوى بن عبيد الله الحلى ، والأمير ابن مقرَّب العيُونى^(٣) ، ورشيد الدين عبد الرحيم النابلسى ، وبهاء الدين على بن محمد بن رستم بن الساعاتى ، وراجح بن إسماعيل الحلى ، وعلى بن بطريق الحلى ، وأحمد بن جعفر الواسطى معارض قصيدة ابن زريق أو رزىق البغدادى ، والملك الأمجد بهرام شاه الأيوبى ، المحفوظ ديوانه الغزلى فى دار الكتب الوطنية بباريس ودار كتب الأوقاف ببغداد . وكل الدين على ابن النبىء الشاعر الرقيق ، القائل فى مدح الخليفة الناصر أحمد بن الحسن :

بغدادُ مَكْتَنَّا وأحمدُ أحمدُ حُجُّوا إلى تلك المنازل واسجدوا

(١) رأيت نسخة من ديوانه فى دار كتب طهران الوطنية بإيران . وقد صوره الدكتور حسين على محفوظ للأستاذ عبد الكريم الدجيل .

(٢) منه نسخة فى خزانة الأستاذ الأديب أحمد عبيد الدمشقى .

(٣) طبع ديوانه مشروحاً فى جمبى سنة ١٣١١ فى « ٥٧٦ » صفحة متوسطة .

يَا مُذْنِبِينَ بِهَا ضَعُوا أَوْزَارَكُمْ وَتَطَهَّرُوا بِتُرَابِهَا وَتَهَجَّدُوا
باب النجاة مدينة العلم التي ما زال كوكبُ هديها يتوقدُ

وابن سناء الملك صاحب الموشحات السائرة ، وأبو علي محمد بن صدقة الخفاف ،
ومحمد بن عبد الملك الوظائفى ، والفق الشاطر عمر بن السَّفت البغدادى الرامى الكبير
المتغزل بالطير الجليل وبقوس البندق ، وصاحب الخمسة التى جمعت أصول الرمى
عند الفتيان ، وأنواع الطَّير الجليل المقرَّر صيدهُ عندهم ، وأبو الشكر محمود بن سليمان
ابن سعيد الموصلى المشهور بابن المحتسب ، وأبو العباس أحمد بن المؤمل البغدادى ،
ومؤيد الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن زيد التكريتى صاحب الأبيات السائرة
التي مطلعها :

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تُجدى لديه الرسائلُ

ويحيى بن أبي زيد العلوى البصرى ، وأبو الحسن على بن إسماعيل العبدى
البصرى ، وأبو عبد الله محمد بن المهنا بن محمد البنائى ، ويعقوب بن صابر المنجنيق
الحرانى الأصل البغدادى الذى يقول فيه ابن خلكان : « وكانت أخباره فى حياته
متواصلة إلينا ، وأشعاره تنقلها الرواة عنه ، ويحكون وقائعه وماجرياته وما ينظم فى
ذلك من الأشعار الرائقة والمعانى البديعة^(١) » . وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم .

أما العلماء بمعنى العلم الصحيح فقد ظهرت كثرتهم فى عصر الناصر لدين الله منهم
العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادى مؤلف كتاب « الإفادة والاعتبار فى الأمور
المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر » وأبو الرشيد مبشر بن أحمد بن على
الرازى الأصل البغدادى ، كان أوحد زمانه فى الحساب وخواص الأعداد والجبر
والمقابلة والهندسة والهيئة وقسمة التركات ، وحوى من سائر العلوم طرفاً ، وكان ذا معرفة

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٥٥٥ من طبعة بلاد العجم .

تامة بعلم الكلام والمنطق والهندسة وله اطلاع على العلوم القديمة وأقوال العلماء فيها ومذاهبهم ، وله اليد الطولى فى عمارات الدور وقسمتها ، وهو الذى كلفه الخليفة الناصر لدين الله أن يختار الكتب لوقفها فى رباط زوجته « سلجوقى خاتون »^(١) .

وسديد الدين جعفر بن القطّاع البغدادى ، وأبو الرضا محمد بن أحمد بن داود الحاسب المؤدب الملقب بالمفيد لكثرة إفادته بالحساب وأنواعه والأدب ، وله تصنيف وتعليق فى علم الحساب ، وأبو شجاع محمد بن على بن شعيب المعروف بابن الدهان الحاسب البغدادى كان عالماً بالرياضيات ومنها الهندسة والأدب . وله كتاب « تقويم المسائل الخلافية » منه نسخة بدار الكتب الوطنية بباريس ونسخة أخرى فى خزانة الشاعر الكبير محمد رضا الشيبى ، وقد ساح فى البلاد الإسلامية ونشر علمه فيها ثم استقر بدمشق إلى أن مات صلاح الدين الأيوبى . فتركها إلى العراق ، وأبو العباس أحمد بن أحمد بن على الواسطى الحاسب المصنف فى الحساب^(٢) ، وأبو اتقضاء جعفر بن محمد بن عبد السميع الهاشمى الواسطى ، من علماء الرياضيات أيضاً ، وعضد الدين المبارك بن محمد بن رئيس الرؤساء المهندس المتقن لأكثر الفنون . وكانت له اليد الطولى فى الهندسة والرياضيات ، وعلاء الدين محمد بن عبد الله الجوبغانى المنجم ، كان عارفاً عالماً بعلم النجوم والأحكام والعلوم الرياضية كالهندسة والحساب زيادة على علمه بالموسيقى ، وأبو الفضل الحازمى ، وشرف الدولة المسقلانى .

واشتهر فى عصر الناصر من المؤرخين عز الدين على بن الأثير ، وجمال الدين محمد ابن سعيد بن الدببى الواسطى ، ومحمد بن أحمد القطيعى ، ويحيى بن القاسم التكريتى وقيصر بن كمشكين ، وعمر بن دحية الكلبي ، ومحمد بن أحمد القادسى ، وقثم بن طلحة العباسى الزينبى ، ومحب الدين محمد بن محمود بن النجار ، وأبو شجاع محمد بن على بن الدهان المقدم ذكره مع علماء الرياضيات ، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادى

(١) تاريخ الحكماء « ص ١٧٧ من الطبعة المصرية .

(٢) له كتاب « عمدة الرائف وعدة الفارض » .

المذكور آنفاً ، وهبة الله بن شُنيف، وحمّاد بن هبة الله الحرّاني ، وأسمد بن ممتّاني
المصريّ ، وبهاء الدين يوسف بن شداد الموصلی ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزيّ ، وعبيد الله بن نصر بن المارستانيّ ، وياقوت الحمويّ ، والحسن بن محمد
ابن حمدون البغداديّ ، وعبد الله بن حنظلة البغداديّ ، وغيرهم .
ويطول الكلام ويكثر القول إن ذكرنا الحكماء والأطباء والفقهاء ، والقضاة
والمدرسين ، وأهل الفن ، ومن جرى مجراهم من أرباب الثقافة العقلية والثقافة
الروحية .

سيرة المؤلف

في هذا العُصر وفي زمان هؤلاء ولد تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي ، وكان
مولده في شعبان من « سنة ٥٩٣ هـ » ولم نجد لوالده « أنجب » ذكراً في التاريخ ، وذلك
يدل على أنه كان من العامة لا من الخاصة ، ويمكن أن يكون هو « الساعي »
المذكور في نسب « تاج الدين علي » . والساعي : عدّاء يعدو في مصالح غيره من
التجار والأعيان ، بين القرى والبلدان . وكانت مجالس الحديث كثيرة في زمان ابن
الساعي ، والرواية في وفارة ، فلما ميّز الأمور أخذ يسمع الحديث والأخبار والآثار ،
فسمع من أبي الحسن علي بن محمد بن علي الموصلی المعروف ابن اللباد الخياط وهو
عم الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي الذي قدمنا ذكره مرتين ،
وكان قد سكن بغداد واشتهر بها بالرواية والدراية ، وتوفي بها سنة « ٦١٤ هـ »^(١)
ولم نقف على السنة التي سمع منه فيها الحديث ، وقد سمع جامع البخاري علي الحسن

(١) التكملة لوفيات النقلة لعبد العظيم المنذري المصري « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية
١٩٨٢ ج ١ الورقة ١٠٩ » وتاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الأهلية بباريس ١٥٨٢
و ٢١٢ » وتاريخ بغداد لابن الديبشي « نسخة كبريج ، و ١٥٩ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٢١ »
والشذرات ٥ : ٦٠ .

والحسين ابني المبارك بن الزبيدي ، فأماً الحسن بن الزبيدي فكنيته أبو علي ، وكانت ولادته في سنة « ٥٤٣ هـ » ببغداد ، ودرس النحو والأدب وكتب كثيراً من كتب التفسير والحديث والتواريخ والأدب وكان عالماً فاضلاً متديناً حسن الطريقة حنفي المذهب ، وطال عمره حتى حدث كثيراً ، ورُتّب محدثاً في مسجد قمرية على شاطئ دجلة بالجانب الغربي من بغداد ، رتبه في ذلك منشي المسجد الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة « ٦٢٦ هـ » . وتوفي سنة « ٦٢٩ هـ » ودفن بمقبرة جامع المنصور بالجانب الغربي من بغداد^(١) . وأما أخوه الحسن بن الزبيدي فكنيته أبو عبد الله وكان مولده سنة « ٥٤٥ هـ » وكان فقيهاً حافظاً ثقة ، توفي سنة « ٦٣١ هـ »^(٢) .

وقرأ ابن الساعي الحديث أيضاً على جماعة يطول إثباتهم ، منهم المشهورون والمغمورون ، فمن المشهورين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الديثي المقدم ذكره بين المؤرخين^(٣) ، ومن المغمورين أبو القاسم سعيد بن معالي النخاس^(٤) وأجاز له أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي^(٥) الأديب النحوي الفقيه المحدث البغدادي نزيل دمشق ، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات المروية ، على أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري^(٥) النحوي الأديب المشهور صاحب « التبيان في إعراب القرآن » والمنسوب إليه « شرح ديوان أبي الطيب المتنبى » المطبوع غير مرة مع أنه تأليف

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية . لمحي الدين القرشي المصري « ١ : ٢٠٠ » وتاريخ بغداد لابن الديثي نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٧٤ « والحوادث التي سميها الحوادث الجامعة » ص ٤ « وبنية الوعاة ٢٢٦ » . والتكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية » ١٩٨٢ د ، ج ٢ ص ١٠٣ . والشذرات « ٥ : ١٣٠ » ، وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ، الترجمة ١٩٩٥ من الميم . (٢) التكملة « الورقة ١٤١ » وتاريخ بغداد لابن الديثي « نسخة بريس ٢١٣٣ و ١٩٨ » والجواهر المضية « ١ : ٢١٦ » .

(٣) الجامع المختصر لابن الساعي « الصفحة ن من التصدير » .

(٤) منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ١٣٧ » .

(٥) تصدير الجامع المختصر أيضاً « ص ن » .

« عفيف الدين علي بن عدلان الموصلی » المتوفى سنة ٦٦٦ هـ . وروى أيضاً عن جماعة بالإجازة .

ودرس ابن الساعى الأدب ، ولم نجد اسم الأديب الذى قرأ هو عليه الأدب ، إلا أننا عثرنا على أخبار تفيدنا اتصاله بالرواية عن ياقوت الحموى ، وضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر والجامع الكبير وغيرها من التأليف الأدبية البلاغية ، ومحمد بن أبى الفضل الأديب ، وأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى النحوى الأديب الذى قرأ هو عليه القرآن ، كما ذكرنا آنفاً ، بالقراءات المسندة .

وأقل ابن الساعى على التواريخ فقرأ « التاريخ المجدد لمدينة السلام » على مؤلفه محب الدين محمد بن محمود بن النجار المقدم ذكره آنفاً ، و « ذيل تاريخ بغداد » على مؤلفه جمال الدين محمد بن سعيد بن الدَّيْثَى الواسطى ، وقد أسلفنا ذكره ، وطالع التواريخ على اختلاف أنواعها وعصورها ومواضيعها ، وبرع فى أكثر الفنون الدينية كالحديث والفقه والتفسير ، والفنون الأدبية كالتاريخ والأدب والأخبار والأشعار ، وقد نظم الشعر ، وخالط العلماء والفقهاء والأدباء ، وأرباب الدولة العباسية ، وكان لطيفاً ، مقبول الصورة ، دمث الأخلاق ، كريم الطباع ، منور الوجه ، وازداد فضلاً على فضله بأنه كان قد صحب المشايخ والزهاد ولبس « سنة ٦٠٨ هـ » خرقة التصوف من شيخ الشيوخ أبى حفص عمر بن محمد الشهروردى الشافعى ، وكان ابن الساعى نفسه شافعيّاً ، ولذلك مال إلى التصوف لأن التصوف والتشفع أخوان ، وذكره تقى الدين ابن قاضى شُهَبَة فى عداد الشافعية الأعلام قال :

« على بن أجب بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الرحيم ^(١) ، المؤرخ الكبير ، تاج الدين أبو طالب البغدادى المعروف بابن الساعى . . . كان فقيهاً قارئاً بالسَّبع ، محدثاً ، مؤرخاً ، شاعراً ، لطيفاً كريماً ، له مصنفات فى التفسير والحديث والفقه

(١) فى ذكر أجداده اختلاف كما سترى فى منقولاتنا .

والتاريخ وغير ذلك منها تاريخ في ستة وعشرين مجلداً^(١) » .

وقد التبس اسمه « ابن الساعى » الذى هو العداء باسم « ابن الساعاى » نسبة إلى عمل الساعات البنكامية المائتة وإدارتها ، فنسبوه إلى « بيت ابن الساعاى » . ومن أولئك الناسبين له محي الدين عبد القادر بن محمد القرشى المصرى ، فقد ترجمه فى كتابه « الجواهر المضئية فى طبقات الحنفية » قال :

« على بن أنجب بن عثمان بن عبيد الله بن الحارث ، عُرف بابن الساعاى تقدم خاله أحمد بن على بن تغلب الإمام ، وذكره الحافظ الدمياطى فى مشيخته^(٢) » ولا صلة فى الحقيقة بين بيتيهما سوى ما أحدثه الوهم فى النسخ والتصحيح فيه ، وكيف يكون أحمد بن على بن تغلب خال ابن الساعى من حيث الزمان ، ومؤلف الجواهر المضئية يذكر فى ترجمة هذا الخال المزعوم أنه أتم تأليف بعض كتبه سنة « ٦٩٠ » هـ ؟ « ١ : ٨١ » مع أن على بن أنجب توفى سنة « ٦٧٤ » هـ كما جاء فى جميع التواريخ التى ترجمته^(٣) ، ما عدا منتخب المختار فإنه لم يذكر وفاته ، والغريب فى هذا الأمر أن محي الدين القرشى مؤلف الجواهر المضئية كان مصرّاً على أنه ابن أخت مظفر الدين أحمد بن على بن تغلب البعلبكي الأصل المذكور ، فإنه قد قال فى ترجمة أحمد : « ويأتى ابن أخته على بن أنجب^(٤) » وهذا وهم منه .

ومن ذكره باسم « ابن الساعاى » عبد الله بن محمد التجانى المغربى ، قال فى بعض أخباره :

(١) طبقات الشافعية لابن قاضى شعبة « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٢١٠٢ الورقة ٦٨ »

(٢) الجواهر المضئية « ١ : ٣٥٤ » .

(٣) الحوادث التى سميها « الحوادث الجامعة ص ٣٨٦ » وطبقات الشافعية لابن قاضى شعبة ،

الورقة ٦٨ . وتذكرة الحفاظ للذهبي « ٤ : ٢٥٠ » . والوفى بالوفيات للصالح الصفدى « نسخة

المجمع العلمى العربى المصورة « ٨٨ : ١٢ » والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى « نسخة دار الكتب

الوطنية ببائيس ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » والشذرات « ٥ : ٣٤٣ » .

(٤) الجواهر المضئية « ١ : ٨١ » .

« قال ابن الساعاتى فى تاريخه : كانت فاطمة بنت الحسين بن على — رضى —
وهى أخت سكينه — عند الحسن بن الحسن بن على وكان محباً لها . . . »^(١) .

ولعلّ الخلط بين نسبه ونسب ابن الساعاتى بعث جمال الدين بن تبرى بردى أن
يظنه حنفياً مع أن الأدلة متضادة على أنه كان شافعيّاً ، وبيان ذلك أن ابن تبرى
برى بعد أن ترجمه فى كتابه باسم « على بن الأنجب بن عثمان بن عبد الله الشيخ
تاج الدين أبو الحسن وأبو طالب الشيخ الإمام المؤرخ خازن المستنصرية ببغداد عرف
بإبن الساعى^(٢) . . . » أعاد ترجمته باسم « على بن الحسين بن عثمان بن عبيد الله
ابن عبد الله بن عبد الرحيم الفقيه الملامة تاج الدين أبو طالب البغدادي المعروف
بإبن الخازن مؤرخ العراق . . . » قال : « أظنه حنفى المذهب^(٣) » . وقد ظنه رجلاً
آخر كما هو ظاهر من عبارته فى الترجمتين ، لوجود « الحسين » فى نسبه مكان « أنجب » .
وقد عرف إبن الساعى بصفة « الخازن^(٤) » وهو اصطلاح لمن يخزن الكتب
ويحفظها ، على أن أباسعد بن السمعانى قال فى الأنساب : « الخازن . . . هذه
النسبة للجماعة ، منهم من كان خازن الكتب ، ومنهم من كان خازن الأموال » ثم
قال « وأبو منصور محمد بن على بن إسحاق بن يوسف الكاتب الخازن خازن دار
العلم ببغداد . . . » . وقريبٌ من ذلك فى اللباب وهو مختصر الأنساب . وذكر ابن
رافع السلامى أنه كان خازن الكتب بالمدرسة النظامية^(٥) وذكر مؤرخون آخرون
أنه كان خازن كتب المدرسة المستنصرية ، كما نقلنا آنفاً . ولا شك أن خزنة

(١) تحفة العروس ومنعة النفوس « نسخة أوقاف بغداد ، الورقة ١٠١ » .

(٢) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧١ الورقة ١١٨ »

(٣) المرجع المذكور « الورقة ١٢١ » .

(٤) منتخب المختار « ص ١٣٧ » والمنهل الصافى فى المرجع المشار إليه . والوافى بالوفيات وتذكرة

الحفاظ ، فى الموضوعين المقدم ذكرهما آنفاً . والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين السخاوى

« ص ٩٦ ، ١٢٣ ، ١٥٦ » وقد زل قلمه سهواً فسماء « إبن الخازن فى ص ١٤٦ » .

(٥) منتخب المختار « ١٣٧ ، ١٣٨ » .

للكتب في هاتين المدرستين أعانه على الاطلاع على كثير من كتب الأدب والتاريخ . وقد زاد عدد الكتب في خزانة هذه المدرسة منذ سنة « ٥٨٩ هـ » ففيها بنى الخليفة الناصر لدين الله دار كتب جديدة بالنظامية ونقل إليها عشرة آلاف مجلد فيها الخطوط المنسوبة وغيرها^(١) ، كما أنه استفاد من خزائن الكتب الأخرى قال القفطي في ترجمة برهان الدين أبي الرشيد مبشر بن أحمد الحاسب المقدم ذكره : « وتميز في أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد وقرب منه واعتمده في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبتدار المسناة ، فإنه أدخله إلى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفرده لاختيارها^(٢) » . أراد بالرباط الخاتوني الرباط الذي بناه الناصر لدين الله لذكرى زوجته سلجوقي خاتون بنت قليج أرسلان السلجوقي سلطان بلاد الروم يومئذ ، بالجانب الغربي من بغداد على شاطئ دجلة ، وسيأتي ذكره في ترجمتها من هذا الكتاب ، وقد وقف ابن الساعي كتبه على المدرسة النظامية^(٣) قبل موته بقليل كما هو عادة العلماء الواقفين كتبهم على المدارس . وفعل ذلك قبله محب الدين محمد بن النجار المؤرخ^(٤) .

وكان عصر الناصر لدين الله عصر أعظم لأهل العلم والأدب والفن ، وكان الأمراء ممن يختلفون إلى دور الكتب والمعاهد العلمية وفيمن يختلف إليها ، قال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بعد إيراده قصيدة ابن الزبيري اللامية : « وعلى ذكر هذا الشعر فإني حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد في بيت عبد القادر بن داود الواسطي المعروف بالحب خازن دار الكتب بها وعنده في البيت باتكين الرومي الذي ولي إزبل أخيراً ، وعنده أيضاً جعفر بن مكي الحاجب فجري ذكر يوم أحد وشعر

(١) النجوم الزاهرة « ٦ : ١٣٢ » .

(٢) أخبار الحكماء « ص ١٧٧ » .

(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شبة « الورقة ٦٨ » .

(٤) فوات الوفيات « ٢ : ٥٢٣ » طبعة مطبعة السعادة بمصر .

ابن الزَّعْرَى هذا وغيره^(١) . وعبد القادر بن داود الواسطيّ هذا قد ذكره الصّلاح الصّفديّ في الوافي بالوفيات وذكر في سيرته أنّه قد تولّى النظر في دار الكتب الناصرية [بالنظامية] ثم توفي سنة « ٦١٩ هـ^(٢) » .

فاشتغال ابن الساعى بالعلم والأدب وحسن أخلاقه وجمال سيرته جعلته محترماً بين الناس ، مكرماً عند أرباب الدولة العباسية ، فقد ذكر شمس الدين الذهبي أنّ شرف الدين إقبالاً الشرابي مقدّم الجيوش العباسية كان يحترم ابن الساعى ويبعث إليه بالدنانير، ونقل الصّفدي قول الذهبي هذا^(٣) . ثم إنّ مخالطته لأرباب الدولة مهّدت له سبل الاطلاع على مكتوبات الدواوين الرسمية المخزونة في الأسفاط والقماطر التي يصعب على غيره من المؤرخين الوصول إليها ، أستدللنا على ذلك بما صرّح هو به في آثاره ، ففي سنة « ٦٠٤ » أسند التدريس في مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان إلى الشيخ أحمد بن مسعود التركستاني وفي ذلك يقول ابن الساعى : « وَكُتِبَ تَوْقِيعٌ من المخزن المعمور بإنشاء مجد الدين محمد بن جميل كاتب المخزن المعمور يومئذ ومن خطّه نقلت وهذه نسخته^(٤) . . . » .

وبذلك الجاه أيضاً وكونه معظماً عند الأكابر والأعيان كثير التردد إليهم نقل أخباراً من أرباب الدولة وأعوانها عنهم لا يعرفها أحد من المؤرخين ، ولم يذكرها غيره ، فصارت مادة تاريخية غزيرة ، ولولا هي لنقص التاريخ نقصاناً مؤسفاً . وثقافته العقلية الواسعة جعلته يفتنّ في تأليف كتب التاريخ والأدب إلا أنّ أكثر تأليفه في

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٨٢ طبعة دار الكتب العربية الكبرى ، .

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٢٠٦٦ الورقة ٢٣٩ » . وله ترجمة

في تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ٦٨٧ من الميم .

(٣) المنتقى من معجم الذهبي الكبير لابن قاضي شعبة « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس

٢٠٧٦ الورقة ١٤١ » . والوافي بالوفيات « نسخة المجمع العلمي العربي ٨٨ : ١٢ » .

(٤) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير لابن الساعى ج ٩ ص ٢٣٣ .

التاريخ ، وقد ساعده على فنّه أنه عاش في عصور دولتين متعاديتين أولاهما الدولة العباسية والثانية الدولة المغولية الإيلخانية التي أسسها هولاكو بغربي إيران والعراق وبلاد الروم ، على أنه قضى « ثلاثاً وستين سنة » في ظل الدولة العباسية أغنى من سنة « ٥٩٣ » إلى سنة « ٦٥٦ هـ » وسالط « ثمانى عشرة سنة » في حكم الدولة الإيلخانية المقدم ذكرها ، والظاهر أنه تولى الخزن بدارالكتب في المدرسة المستنصرية على عهد الدولة الإيلخانية بالعراق ، وقد جاء في بعض المراجع التاريخية المجهولة المكان في ترجمة عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني شارح نهج البلاغة أنه لما أخذ هولاكو بغداد وقرض الدولة العباسية ، كان عز الدين هذا ممن نجا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد مع أخيه موفق الدين ، فحضر بين يدي الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطوسي الحكيم المشهور فقوض إليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي^(١) . ولم تطل أيام صاحبيه فقد ماتا في السنة عينها ، وبقي هو في عمله الجديد .

ولم يسلم من مَعَرَّة الحرب وفواجعها ، وإن سلمت روحه من الإزهاق فقد أفقدته ابنه كمال الدين أبا القاسم عبيد الله ، وكان شاباً سريعاً ذكياً ، أشغله والده بحفظ القرآن وأسمعه الحديث وكتب خطاً مليحاً ، وتوصل إلى جعله حاجباً من الحجاب ، وقد ذكره والده تاج الدين في تاريخه ، قال : « وفي ذي الحجة سنة خمسين وستمائة رُتّب ولدى أبو القاسم عبيد الله مشرفاً بباب مسرور ، وكان مولده يوم الجمعة سابع شعبان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة^(٢) .

وأكثر كتبه ألقاها في أيام الدولة العباسية ، ومنها كتاب « جهات الأئمة الخلفاء

(١) شرح نهج البلاغة « مج ٤ ص ٥٧٥ » نقلا من معجز الآداب في معجم الألقاب (كذا) « لكمال الدين بن الفوطي ، وما يدل على أن الناقل لم يقف على نسخة الأصل أنه جعل اسم المؤلف « أحمد » مع أنه « عبد الرزاق بن أحمد » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٥ الترجمة ٢٥٤ من الكاف » طبعة لاهور بالهند .

من الحرائر والإماء « هذا ، ألا تراه يقول في ترجمة « شاهان » جارية المستنصر بالله العباسي :

« ولما توفي مولانا الإمام المستنصر بالله كرم الله مثواه، وجعل الجنة مأواه، وبويع ولده سيدنا ومولانا الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين — أيد الله شريف دولته القاهرة، وبلغه آماله في الدنيا والآخرة — أجراها على عاداتها في الإكرام، ووفر نصيبها من التبجيل والإعظام^(١) . والنظر إلى قائمة مصنفاته يدلنا على افتتانه في التصنيف وإيغاله فيه وسعة معارفه ، قيل إن الذي حُصر من مؤلفاته « مائة وثلاثة وثلاثون مجلداً^(٢) » ، وكان محظوظاً في التأليف، قلما ألف كتاباً فلم ينل به جائزة ، قال صاحبه محمد بن سعيد : ما كان يكتب مجلداً في التاريخ إلا يحصل له في مقابله المائة دينار والثلاثمائة . وهذا يطمئن في حياده عند أهل التحقيق والتدقيق . وألف كتاب « غزل الظراف ومغازلة الأشراف » في مجلدين فأجازه عليه الخليفة المستنصر بالله العباسي بمائة دينار ، وصنف كتاب نزهة الأبصار في أخبار ابني المستعصم بالله العباسي فأجيز عليه بمائة دينار كذلك ، وألف « التاريخ المعلم الأتابكي » لنور الدين أرسلان شاه ابن زنكي بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي صاحب شهر زور بالتماس منه فأجازه عليه بمائة دينار أيضاً^(٣) ، وألف كتاب « الإبناس بمناقب بني العباس » فأعطاه المستنصر بالله مائة دينار أيضاً ، وقال الذهبي : « أورد ظهير الدين علي بن محمد السكازروني في ترجمة ابن الساعي أسماء التصانيف التي صنفها وهي كثيرة جداً لعلها وقر بعير^(٤) .

وقد بقيت تلك التأليف مراجع مهمة ، كثيرة المادة والنفع للورخين فاستمدوا منها

(١) جهات الأئمة الخلفاء « نسخة خزانة ولي الدين بالاستانة ٢٦٢٤ الورقة ١٣٠ » .

(٢) المنهل الصافي في الموضع المقدم ذكره .

(٣) منتقى المعجم الكبير للذهبي والوافي بالوفيات والمنهل انصافي في المواضع المذكورة آنفاً .

(٤) تلخيص المعجم وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة والوافي بالوفيات .

في كتبهم ، ومنهم كمال الدين بن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب فإنه يكثر فيه من قوله « ذكره شيخنا تاج الدين بن الساعى في تاريخه » . وينقل أحياناً من تواريخ ابن الساعى الخاصة كما سيأتى شرحه ، ومنهم شمس الدين الذهبى نقل من غير كتاب من كتبه ، وابن كثير الدمشقى في كتابه « البداية والنهاية » وعلى بن الحسن الخزرى في تاريخه « المسجد المسبوك في تاريخ دولة الإسلام والملوك » وقد سماه « ابن الخازن » قال في حوادث سنة ٦٤٢ : « هكذا قال ابن الخازن ^(١) » . والصواب « الخازن » ومنهم « الصفدى » مثال ذلك قوله في افتتاح المدرسة المستنصرية ببغداد سنة ٦٣١ . « وفيها فتحت المدرسة المستنصرية ببغداد ... قال ابن الساعى حمل : إليها من الكتب مائة وستون حملاً سوى ما نقل إليها بعد ذلك وسوى ما أحضره أرباب الدولة والمتولون من كتبهم تقرّباً إلى قلب الخليفة ^(٢) » . ومنهم مؤلف كتاب الحوادث الذى سميناه « الحوادث الجامعة » استرجاحاً ^(٣) ، ومنهم المؤرخ عبد الرحمن الإربلى في كتابه خلاصة الذهب المسبوك ^(٤) « كما سنذكره قريباً ، وعبد الله بن محمد التجانى المغربى في كتابه « تحفة العروس ومتعة النفوس » وقد أشرنا إلى ذلك قبلاً . وفخر الدين أبو الفضل محمد بن على بن أبى الميامن بن أمسينا الواسطى الكاتب المؤرخ قال ابن الفوطى : كان عارفاً بالحساب والضبط فى الكتابة والخط ، والتقط فوائد تاريخ شيخنا تاج الدين أبى طالب [ابن الساعى] وهو عالم بالحوادث والتواريخ ^(٥) » . وقد سمع من ابن الساعى الحافظ الكبير المؤلف الشهير شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى بالمدرسة النظامية ببغداد ، وذكره الدمياطى فى معجمه

(١) المسجد المسبوك « نسخة دار الكتب المصرية » الورقة ١٦٥ .

(٢) تاريخ الصفدى المرتب على حوادث السنين « نسخة خزانة الأوقاف بحلب ، أرقامها ١٢١٦

حوادث سنة ٦٣١ » . (٣) الحوادث الجامعة ؟ « ص ٢٥٢ ، ٢٦٢ » .

(٤) خلاصة الذهب المسبوك « ، ص ٩٦ ، ١٦٢ » .

(٥) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الورقة ٣٣٦ من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق » ويظهر لى

أنه مؤلف كتاب « الحوادث » المقدم ذكره أيضاً .

وأورد له حديثاً بروايته إياه عنه ، وأبو الفضل عبد الرازق بن الفوطى ، وتقى الدين محمود بن على الدقوقي^(١) ، ولكنه لم يشتهر فى الحديث ، ولا صرف همه إلى روايته لعنايته بالتواريخ وتوفره عليها ، على أنه ألف كتاب « الإيضاح عن الأحاديث الصحاح » و « الأحاديث الثمانية »^(٢) « أى التى روى كل حديث منها عن ثمانية شيوخ ، والثمانيات معروفة فى فنون الحديث »^(٣) .

وخلاصة القول أن تاج الدين على بن الساعى كان من كبار مؤرخى القرن السابع بالعراق ، وأصدقهم لهجة وأوسعهم تصنيفاً وأطولهم نفساً فى الكتابة ، وأبدم ذكراً فى التواريخ . وأنه كان إلى ذلك من الأدباء والمحدثين المشاركين لا من المتخصصين . قال شمس الدين الذهبى فى ترجمته : « وقد تكلم فيه وله أوهام »^(٤) . ولم يُفصح الذهبى عن حقيقة ذلك الكلام وتلك الأوهام ، ولا عن السبب الذى قيات فيه ، أكان متساهلاً فى الأخبار أم مجازفاً أم مزخرفاً أم مبالغاً أم كاذباً أحياناً ؟ ليس فى استطاعتنا الجواب لأن الدعوى عليه عامة مُرسلة ، ولكن إقبال المؤرخين والأدباء على كتبه ، وإطباق عامتهم على توثيقه ، وانتشار أقواله فى الكتب تدلنا على إسراف من تكلم فيه ، ولم يُرد الذهبى بذلك القول إلا الأخبار والاعلام ، لتكون ترجمته إياه محيطة بالمهم من سيرته ، ولم يؤكد الرجل اتهامه ولا نفاه عنه بل حايده واعتزل ، أما الأوهام التى ذكرها فممكن وقوعها من ابن الساعى ، وقلّ من يسلم من المؤرخين والأدباء والمؤلفين عامة من الأوهام . وها هنا لا يجوز أن نقول للذهبى : وما أوهام ابن الساعى ؟ لأن معجمه إنما هو لذكر السّير والضرورى من الأخبار لا للتبع والنقد ، ولا للمؤاخذه والاستدراك والتصحيح .

(١) منتخب المختار « ص ١٣٨ » .

(٢) المنتخب « ص ١٣٨ » وجاء فيه « اليمنية » من غلط النسخ أو الطبع .

(٣) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة فى « الثمانيات » .

(٤) متنى المعجم الكبير فى الموضع المشار إليه آنفاً .

توفي تاج الدين بن الساعى فى ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٧٤
بيغداد^(١) ودُفن بمقبرة الشوينزية بالجانب الغربى من بغداد^(٢) ، وهى مقبرة
الصوفية وذوى المشرب الصوفى وإن لم يتصوفوا ، وفيها دفن « الجنيد بن محمد »
الصوفى الزاهد المشهور ، ولا يزال قبر الجنيد معروفاً مزوراً . وآخر كتاب ألفه ابن
الساعى هو كتاب « الزهاد » وقد وُجدَ على هذا الكتاب بخط الشيخ زكى الدين
عبد الله بن حبيب الكاتب المشهور هذه الأبيات :

ما زال تاجُ الدين طول المدى من عمره يُعْنِقُ فى السَّيرِ
فى طلب العلم وتدوينه وفعله نفع بلا خَيْرِ
علا على بتصانيفه وهذه خاتمةُ الخيرِ^(٣)

وهذا ثبت مصنفات ابن الساعى :

١ — الأحاديث الثمانية الغالية ، فى الثمانية العالية ، قدمنا ذكرها فى الكلام
على اشتغاله بالحديث وبيدنا معناها . ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون عن
أسامى الكتب والفنون^(٤) .

٢ — أخبار الأدباء وهو كتاب كبير فى خمس مجلدات (جمع مجلدة) ذكره
مؤلف كشف الظنون ، وادّعى بعض الباحثين أنه كان محفوظاً فى بعض خزائن
الكتب بحلب ، ولم نقف على شيء من حقيقته .

٣ — أخبار الحسين بن منصور الحلاج ، ذكره حاجى خليفة فى كشف
الظنون وأعاد ذكره فى التواريخ .

(١) المراجع المذكورة ماعدا الجواهر المضيئة « ١ : ٣٥٤ » فقد جاء فى المطبوع منها أنه توفي
سنة « أربع وستين وستمائة » والظاهر أن « ستين » تصحيف سبعين .
(٢) المرجع المذكور « ١ : ٣٥٤ » .
(٣) الحوادث « ص ٣٨٦ » .
(٤) كشف الظنون « ١ : ١٤ » طبعة نظارة المعارف التركية .

٤ — أخبار الخلفاء ، ذكره مؤلف الكشف قال : « وهو كبير في ثلاث مجلدات » وذكره ثانية في التواريخ ، وأما هذا المطبوع المسمى « مختصر أخبار الخلفاء » فهو مفسوس عليه ، نحله إياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل أمورهم وشؤونهم .

٥ — أخبار الربط والمدارس ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون في بابه وفي تاريخ ابن الساعي .

٦ — أخبار قضاة بغداد ، ذكره هو أيضاً في بابه وفي التواريخ .

٧ — أخبار المصنفين ، ذكره^(١) في بابه وقال « ست مجلدات » وأعاد ذكره في التواريخ .

٨ — الأخبار النبوية ، جاء ذكره في منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ١٣٨ » .

٩ — أخبار الوزراء ، ذكره حاجي خليفة في مادة « أخبار » وقال في مادة كتاب الوزراء : « لإسماعيل بن عباد الوزير المعروف بالصاحب ، وذيله الشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي في مجلد » . وذكره شمس الدين السخاوي في الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ « ص ٩٧ » .

١٠ — إرشاد الطالب إلى معرفة المذاهب ، جاء ذكره في منتخب المختار المقدم ذكره « ص ١٣٨ منه » .

١١ — الإشارات الموقفية في علماء الدولة البويهية ، ذكره تلميذه عبد الرحمن الإربلي في تاريخه وخلاصة الذهب المسبوك « — ص ١٩١ — قال : « وقد جمع

(١) أعني حاجي خليفة مؤلف كشف الظنون .

الشيخ تاج الدين علي بن الحسن المعروف بابن الساعي شيخنا — رحمة الله عليه — في ذلك كتاباً سماه الإشارات الموقية في علماء الدولة البويهية .

١٢ — اعتبار المستبصر في سيرة المستنصر ، جاء ذكره في منتخب المختار « ص ١٣٨ » وذكره الذهبي في تاريخه ومعجمه وعبد الرحمن الاربلي في كتابه « خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١١ » والصفدي في الوافي بالوفيات ، وحاجي خليفة في كشف الظنون .

١٣ — الاقتفاء في ذيل طبقات الفقهاء ، وهو ذيل على طبقات الشافعية الذي ألفه قبله . ذكره كمال الدين بن القوطي في تلخيص معجم الألقاب غير مرة ونقل منه .

١٤ — الإيضاح عن الأحاديث الصحاح ، ورد ذكره في منتخب المختار .

١٥ — الإيناس بمناقب الخلفاء من بني العباس ، قدمنا الكلام عليه في سيرته ، ذكره الذهبي والصفدي في ترجمته من المعجم الكبير للأول والوافي بالوفيات للثاني ، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ، وقال عبد الرحمن الاربلي في خلاصة الذهب المسبوك « ص ٢١٤ » في ترجمة الخليفة المستعصم بالله : « وقد ذكر الشيخ تاج الدين علي بن الحسن البغدادي من ذلك في كتابه الموسوم بكتاب الإيناس في مناقب الخلفاء من بني العباس » .

١٦ — بشارة من بلغ الثمانين ، ذكره ابن القوطي في تلخيص معجم الألقاب ونقل منه .

١٧ — بلغة الظرفاء إلى معرفة تواريخ الخلفاء ، ذكره مؤلف كشف الظنون في مادة « تاريخ الخلفاء » وهو غير المطبوع .

١٨ — تاريخ الخلفاء . ذكره هو أيضاً في الكشف في تواريخ الخلفاء ، ولعله أحد التواريخ المسميات باسم خاص وذكره من حيث عموم الموضوع .

١٩ — تاريخ الشهود والحكام ببغداد ، ذكره حاجي خليفة في كتابه قال :
« وهو كبير في ثلاث مجلدات » .

٢٠ — تاريخ من أدركت خلافة ولدها . واسمه الأصلي « أخبار من أدركت خلافة ولدها » ذكره المؤلف — أعني ابن الساعي — في خطبة كتابه هذا « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » قال : « أما بعد حمد الله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين فإني لما جمعت كتاب أخبار من أدركت خلافة ولدها من جهات الخلفاء ، ذوات المعروف والعطاء ، أحببت أن أذكر من اشتهر ذكرها من حظايا الخلفاء ، الحرائر منهن والإماء ، وبالله التوفيق » . فلهذا المؤلف إذن كتابان في نساء الخلفاء ، وقد حسبهما الذهبي ، وبعده الصفدي ، كتاباً واحداً ، قال الأول في معجمه الكبير : « تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء » ولم يذكر الثاني وتابعه ابن تغري بردي يوسف قال : « وتاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء ومنهن سمر أم أولاد المستعصم الأمراء : أحمد وعبد الرحمن ومبارك » . وأعاد ابن تغري بردي قول الصفدي فقال : « وتاريخ نساء الخلفاء من الأحرار (كذا) والإماء ومنهن سمر أم أولاد المستعصم الأمراء : أحمد وعبد الرحمن ومبارك^(١) » . وذكره كاتب جلبي في مادة « نساء الخلفاء » من كشف الظنون ، والسخاوي في الإعلان بالتوبيخ « ص ٩٦ » ، وذكره عبد الرحمن الاربلي في خلاصة الذهب المسبوك « ص ١٩٧ ، ٢٠٣ » .

٢١ — الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، ذكره حاجي خليفة في تاريخ ابن الساعي وكأنه عناه أيضاً بقوله : « تاريخ ابن الساعي هو علي بن أنجب البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ وهو تاريخ كبير على ثلاثين مجلداً^(٢) » .

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الواقى «نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد» ٢٠٧١ الورقة ١١٨

(٢) وجدت المجلد التاسع منه أو الجزء التاسع منه في خزانة الكتب التيمورية بدار الكتب المصرية

وقد طبعته ببغداد وعلقت عليه سنة ١٩٣٤ .

٢٢ — جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء وهو هذا الكتاب وقد قدمنا الإشارة إليه .

٢٣ — الحث على طلب الولد . ذكره الذهبي في معجمه ، والصفدي في الوافي بالوفيات ، قال الذهبي « ألفه باسم مجاهد الدين أبيك الدويدار الصغير ، وقدمه له يوم عرسه على ابنة صاحب الموصل لؤلؤ »^(١) : وذكره الصفدي في الوافي ، وحاجي خليفة في كشف الظنون باسم « كتاب الحث على طلب الولد » .

٢٤ — حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء . ذكره حاجي خليفة في مادة « تاريخ الخلفاء »

٢٥ — ذيل تاريخ بغداد . ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ « ص ١٢٣ »

٢٦ — ذيل كامل التواريخ الذي لابن الأثير ، ذكره حاجي خليفة في كشف

الظنون ، والسخاوي في الإعلان بالتوبيخ ، وذكر الأول أنه في خمس مجلدات إلى سنة ٦٥٦ وهي سنة سقوط الدولة العباسية . وقد نقل منه مؤلف كتاب « تاريخ الجزيرة » المحفوظة — كانت — منه نسخة في دار الكتب ببرلين ، أرقامها « ٩٨٠ » عربيات .

٢٧ — الروض الناصر في أخبار الإمام الناصر ، قال عبد الرحمن الاربلي في ترجمة الناصر : « وله مناقب كثيرة وفضائل جمة قد ذكرها الشيخ العالم تاج الدين علي بن أنجب المؤرخ المعروف بابن الساعي شيخنا — رحمه الله عليه — في كتاب يشتمل على خمس مجلدات سماه الروض الناصر في أخبار الإمام الناصر^(٢) » . وذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب مراراً ونقل منه ، ومن ذلك ما ورد في « ج ٥ في الترجمة ٤٥ من الكاف منه » قال . « كافي الدين محمد بن شرفشاه العراقي المستوفي ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب بن الساعي في كتابه (الروض الناصر في أخبار

(١) متق المعجم الكبير « نسخة الدار المذكورة ، الورقة ١٤١ » .

(٢) خلاصة الذهب المسبوك « ص ٢٠٨ » .

الإمام الناصر . .) وكرر ذكره في الترجمة ٣٤٨٥ من الكاف» وفي غيرها . وأشار إليه السخاوي في الإعلان « ص ٩٦ » باسم سيرة الناصر .

٢٨ — الزهاد . وهو آخر كتاب ألفه ، كما ذكرنا نقلا من كتاب الحوادث في أثناء كلامنا على سيرته .

٢٩ — سيرة المستعصم بالله ، ورد ذكرها في منتخب المختار .

٣٠ — شرح الأخبار النبوية ، جاء ذكره في المنتخب أيضا .

٣١ — شرح الفصيح لشعلب ، ورد ذكره في الكتاب المقدم ذكره .

٣٢ — شرح مقامات الحريري ، مختصر في مجلد ذكره مؤلف المنتخب وذكر له شرحين آخرين .

٣٣ — شرح المقامات ، وسط ، ورد ذكره في التاريخ المشار إليه كما نبهنا عليه .

٣٤ — شرط المدرسة المستنصرية ، مجلد واحد قال حاجي خليفة في كشف الظنون : للشيخ تاج الدين^(١) علي بن أنجب البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤

٣٥ — طبقات الشافعية ، ذكره ابن الفوطى مرارا في تلخيص معجم الألقاب ، ونقل منه وذكره حاجي خليفة في الكشف وذلك في « الطبقات » وفي « التاريخ » باسم « طبقات الفقهاء » وقد قدمنا ذكر ذيله « الاقتفاء » للمؤلف نفسه .

٣٦ — غرر المحاضرة ودرر المكاترة . في التاريخ ، ذكره كاتب جلبي في باب « الغين » و « التاريخ » .

٣٧ — غزل الظراف ومغازلة الأشراف ، وقد أشرنا إليه في الكلام على سيرته

(١) وقع في بعض نسخ كشف الظنون قول المؤلف « وقد سميته بمفاتيح الجنان ومصابيح الجنان » والظاهر أنه شرح لكتاب في الفقه الحنفي اسمه « شرعة الإسلام » لأنه قد كرره في « مفاتيح الجنان » .

ورد ذكره في الجامع المختصر « ٩ : ٦٤ » وسماه حاجي خليفه « غزل الطرف » وقال « في مجلدين لابن الساعى على بن أنجب ... » وذكره الذهبي في معجمه والصفدي في الوافي بالوفيات .

٣٨ — القلائد الدرية في المدائح المستعصمية ، وهو قصائد في مدح الخليفة المستعصم بالله ، ذكره ابن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب ، قال في ترجمة « مجد الدين أبى المعالى محمد بن أبى على سالم بن على بن مسافر الحديثى الشاعر » : « ذكره شيخنا تاج الدين فى كتاب القلائد الدرية فى المدائح المستعصمية .. »^(١) .

٣٩ — لطائف المعانى فى شعراء زمانى ، ذكره ابن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب أيضاً غير مرة ، ونقل منه ، وذكره حاجي خليفته فى باب « الشين » باسم « شعراء الزمان » وفى باب « اللام » بالاسم الثانى ، وقال فى مادة التاريخ « وله تاريخ آخر لشعراء عصره » .

٤٠ — المحب والمحبوب ، ورد ذكره فى منتخب المختار فى سيرته .

٤١ — المدائح الوزيرية ، ذكره ابن الفوطى فى ترجمة « فخر الدين أبى على محمد بن عبد الرحمن بن أبى البقاء عبد الله العكبرى الكاتب » حفيد أستاذ المؤلف ، قال : « من فضلاء الزمان ، سمع جده أبا البقاء وتأدب ونظم الأشعار الرائقة . أنشده شيخنا تاج الدين فى « المدائح الوزيرية » يهنئه بالوزارة ... »^(٢) .

٤٢ — مرآة الجهة السعيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله ، ذكره المؤلف فى كتابه الجامع المختصر « ٩ : ٢٧٩ » .

٤٣ — المشيخه وهى كتاب فيه مختصرات لسير من سمع المؤلف عليهم من

(١) ج ٥ فى الترجمة ٤٨١ من الميم .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٣٣٠ » .

الشيوخ الرواة ومن أجازوا له ، وقد ذكرها ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ، قال فيه ترجمته . نقلاً من تاريخ الذهبي : « وقد أورد الكازروني في ترجمة ابن الساعي أسماء التصانيف التي صنفها وهي كثيرة جداً لعلها وقر بعير منها مشيخته بالسمع والإجازة في عشر مجلدات^(١) ، ... » والقول عينه وارد في منتقى المعجم الكبير للذهبي ، وفي الوافي بالوفيات أنها في عشرين مجلداً . وكذلك عدد مجلداتها في كشف الظنون .

٤٤ — المعلم الأتابكي ، قدمنا الكلام عليه في سيرته ، وذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب قال في ترجمة الملك القاهر محمد (كذا) بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل والجزيرة وسنجار : « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب في كتابه (المعلم الأتابكي) الذي صنّفه لصاحب شهرزور^(٢) » . وذكره حاجي خليفة في « المعلم » وفي التاريخ من كشف الظنون .

٤٥ — المقابر المشهورة والمشاهد المزورة ، مجلد واحد ذكره مؤلف كشف الظنون في مادته وفي « التاريخ » .

٤٦ — مناقب الخلفاء الأربعة ، وهم الراشدون الأولون ، ذكره حاجي خليفة أيضاً وقال : « ثلاث مجلدات » وذكره السخاوي في الإعلان باسم مناقب الخلفاء « ص ٩٦ » .

٤٧ — مناقب الخلفاء العباسيين ، جاء ذكره في منتخب المختار مع تأليف ابن الساعي .

٤٨ — المناقب العلية لمدرسي المدرسة النظامية ، ورد ذكره في المنتخب أيضاً .

(١) شذرات الذهب « ٥ : ٣٤٣ - ٤ » . « والمجرد مجلد » .

(٢) النسخة المقدم ذكرها « الورقة ٣٩٠ » .

٤٩ — منهاج الطالبين في معرفة نقباء العباسيين، ذكره ابن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب . قال في ترجمة مجد الدين أبى الحسن على بن الأتقى أبى أحمد طلحة ابن عبد الله الزينى العباسى : ذكره شيخنا في كتاب منهاج الطالبين في معرفة نقباء العباسيين^(١) .

٥٠ — نزهة الأبصار في أخبار ابنى المستعصم بالله العباسى : قدمنا ذكره في أثناء سيرته . قال الذهبى : « هو في أخبار ابنى المستعصم السعيد وما أنفق عليهما من الأموال وتفاصيل ما عمل من المأكول والملبوس وما عمل من المدائح ، وذكره الصلاح الصفدى في الوافى بالوفيات^(٢) وابن تغرى بردى في (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى)^(٣) » .

٥١ — نزهة الأبصار في معرفة نقباء الأسرة الأطهار ، وهم نقباء الطالبين من بنى على بن أبى طالب — ٤ — ذكره ابن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب قال في ترجمة مجد الدين على بن الحسين بن باقى الحلى القاضى : ذكره شيخنا تاج الدين فى كتابه نزهة الأبصار فى معرفة النقباء الأطهار » وكرر ذكره ونقل منه فى غير هذا الموضع^(٤) . وذكره هو فى كتابه الجامع المختصر « ٧٩ : ٩ » وأشار إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون .

٥٢ — نزهة الراغب المعتبر فى سيرة الملك قُشْتَمِر ، ذكره هو فى الجامع المختصر « ٤٣ : ٩ » ، وهو فى سيرة الأمير قُشْتَمِر من ممالك الخليفة الناصر لدين الله .

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ فى الترجمة ٣٧٥ » .

(٢) نسخة المجمع العلمى العربى المصورة « ٨٨ : ١٢ » .

(٣) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » .

(٤) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ فى الترجمة ٣٧٠ من الميم ، وفى الترجمتين « ٥١٥ »

و ٦٧٧ منه .

- ٥٣ — نظم منشور الكلام في ذكر الخلفاء الكرام ، ذكره حاجي خليفة في مادة « تاريخ » من الكشف .
- ٥٤ — نهاية الفوائد الأدبية في شرح المقامات الحريية . في خمسة وعشرين مجلداً ، جاء ذكره في منتخب المختار .
- ٥٥ — الوزراء أو أخبار الوزراء ، ذكره حاجي خليفة في « أخبار الوزراء » و « كتاب الوزراء » من كشف الظنون .
- ٥٦ — ولاية خوزستان ، ذكره ابن الفوطى في تلخيص معجم الألقاب ، قال في ترجمة ، مجاهد الدين ياقوت بن عبد الله الرومى : ذكره شيخنا تاج الدين في كتاب ولاية خوزستان وقال . . . (١) .

(١) المرجع المذكور « ج ٥ في الترجمة ١٤٨ من الميم » .

حقيقة الكتاب

يعود الفضل في تعريف وإعلامي بهذا الكتاب إلى الأستاذ العلامة « لويس ماسنيون » المستشرق المشهور ، فقد ذكر لي في كتاب كتبه إلى في التاريخ ١٩٤٩ / ٩ / ٤ أن الأستاذ مكرم بن خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول وقَّفه على كتاب مخطوط اسمه « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » تأليف كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي المؤرخ ، وهو محفوظ في خزانة كتب « ولي الدين » الموقوفة في استانبول ، في مجموعة أرقامها « ٢٦٢٤ » . ولم أدر كيف تهيأ للأستاذ مكرم بن خليل أن ينسب هذا الكتاب إلى ابن الفوطي المذكور ؟ ولا دليل على ذلك فيه ولا خارجة ، فحاجي خليفة لم يذكر أن لابن الفوطي كتاباً اسمه « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » بل ذكره باسم « تاريخ نساء الخلفاء » لابن الساعي قال : « تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء لتاج الدين علي بن أنجب البغدادي المتوفى سنة أربع وسبعين وستمائة^(١) » . ثم كرَّر ذكره باسم « نساء الخلفاء » في النون قال : « نساء الخلفاء من الحرائر والإماء ، تاريخ لعل بن أنجب البغدادي المؤرخ المتوفى سنة أربع وسبعين وستمائة^(٢) » . ومعلوم أنه أراد بنساء الخلفاء « جهات الخلفاء » جمع الجهة وهي السيدة المحترمة المتزوجة ، كما سيأتي بيانه في التعليق على هذه الكلمة في أول الكتاب ، هذا هو الدليل الأول على أن هذا الكتاب هو تأليف ابن الساعي على ابن أنجب البغدادي . والدليل الثاني هو أن المؤلف ذكر في مقدمة كتابه هذا أو خطبته أن له كتاباً اسمه « أخبار من أدركت خلافة ولدها » وقد ذكرناه في

(١) كشف الظنون « في العمود ٣٠٨ » من طبعة وكالة المعارف التركية .

(٢) المرجع المذكور « في العمود ١٩٥٠ » .

ثبت كُتُبُه باسم « تاريخ مَنْ أدركت خلافة ولدها » وهو لابن الساعي حقاً ، ذكر ذلك عبد الرحمن الاربلي في تاريخه ولم يصرِّح باسم مؤلفه^(١) ، إلا أننا نعلم أنه ينقل من كتب شيخه ابن الساعي كما قدمنا الإشارة إليه ، وذكره ابن تغري بردي في بعض تواريخه . كما نقلناه آنفاً ، إلا أنه لم يصرِّح باسمه بل ذكر منه اسم « سمر » وهي أم أولاد المستعصم بالله أحمد وعبد الرحمن والبارك . وإن لم تُذكر السيدة سمر في هذا الكتاب أغنى كتاب « جهات الأئمة الخلفاء » فهي قد ذكرت في « أخبار من أدركت خلافة ولدها » أو أدركت ولايته لامهد^(٢) . والدليل الثالث هو أن الشيوخ الذين روى مؤلف « جهات الأئمة الخلفاء » عنهم الأخبار هم بين شيخ معروف من شيوخ ابن الساعي كمحب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي الذي ذكرنا أن ابن الساعي قرأ عليه تاريخ بغداد من تأليفه ، وشيخ لا يصلح أن يكون راوياً لابن الفوطي لوفاته قبل ميلاد ابن الفوطي ، فقد روى المؤلف عن ابن النجار في ترجمة « ناشب المتوكلية » قال : « قرأت على الحافظ أبي عبد الله البغدادي قال أخبرني عيسى بن عبد العزيز اللخمي ... » . وأبو عبد الله البغدادي هو محب الدين محمد بن محمود بن النجار . وروى عنه أيضاً في ترجمة « دولة جارية ابن المعتز » قال : « أخبرني الحافظ أبو عبد الله البغدادي عن أبي القاسم الأزجى ... » . وأبو القاسم الأزجى هو يحيى بن أسعد بن بوش ، توفي سنة ٥٩٣ كما سيأتي في حواشي الكتاب ، وحدَّث عنه في سيرة « قبيصة جارية العباس بن الحسن » قال : « قرأت على الحافظ أبي عبد الله البغدادي عن ذاكر بن كامل الحذاء ... » . وصرِّح باسمه الكامل في ترجمة « ست النساء بنت طولون » قال : « قرأت على العدل محمد بن محمود بن الحسن الشافعي قلت له : قرأت على أبي عبد الله الحنبلي

(١) خلاصة الذهب المسبوك « ١٩٧ » .

(٢) كان ابنها أبو العباس أحمد ولي عهد الخلافة العباسية وقد قتله هولاكو المغول مع أبيه وأخيه

عبد الرحمن عند احتلاله بغداد .

بأصبهان . . . » . وكانت وفاة ابن النجار في خامس شعبان سنة ٦٤٣ هـ ^(١) وكان ميلاد ابن الفوطى في سابع عشر المحرم سنة ٦٤٢ هـ ^(٢) أى قبل وفاة ابن النجار بسبعة أشهر تقريباً .

وروى المؤلف عن عبد الوهاب بن على الأمين المحدث الصوفى المعروف بابن سُكَيْنَةَ وقد كانت وفاته سنة ٦٠٧ كما سيأتى فى التعليق على اسمه . وقد ذكر الذهبى أن ابن النجار ترجمه فى كتابه ^(٣) . وترجمته مذكورة فى تاريخ ابن النجار كما قال الذهبى ، قال ابن النجار : « عبد الوهاب بن على بن على بن عبيد الله أبو أحمد بن أبى منصور الأمين المعروف بابن سُكَيْنَةَ ^(٤) » . ومؤلف هذا الكتاب يقول فى أول كتابه فى ترجمة « حمادة بنت عيسى » : « أخبرنى عبد الوهاب بن على الأمين إجازة قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الشيبانى . . . » . ثم قال فى ترجمة « عريب المأمونية » : « أنبأنى أبو أحمد الأمين عن ابن ناصر . . . » وأبو أحمد الأمين هو عبد الوهاب ابن سُكَيْنَةَ كما قدمنا فى نقل نسبه آنفاً ، ومما ذكرنا يُعلم أن عبد الوهاب بن سكينه توفى قبل مولد ابن الفوطى بخمسة وثلاثين سنة ، فلا يصح أن يكون ابن الفوطى راوياً عنه بلا واسطة فى كل حال من أحوال الرواية : سماعاً وإجازة ومناولة . وروى مؤلف هذا الكتاب عن « عبد الرحمن بن سعد الله الواسطى الدقيقى الطحّان » فى ترجمة « عريب المأمونية » وترجمة « بنان جارية المتوكل » وترجمة « محبوبة جارية المتوكل » وسيرة « نبت جارية المعتمد على الله » . وفى الموضع الأول قال : « وأنبأنى عبد الرحمن بن سعد الله الدقيقى عن أبى القاسم بن السمرقندى . . . » وفى الثانى : « أنبأنى عبد الرحمن الطحّان عن

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٥ : ٤١ » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ٢ : ٣٧٤ طبعة مصر » .

(٣) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ١٥٨٢ الورقة ١٦٠ » .

(٤) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٤ » .

أبي القاسم بن السمرقندي . . . » . وفي الثالث : « أخبرني عبد الرحمن بن سعد الله الواسطي إذناً عن أبي القاسم بن السمرقندي . . . » . وفي الرابع : « وأنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيقي عن أبي القاسم بن السمرقندي . . . » . وسيأتي في التعليق على اسمه أنه توفي سنة ٦١٥ هـ^(١) أي قبل مولد ابن الفوطي بسبع وعشرين سنة .

وروى المؤلف عن علي بن عبد الرحمن بن الجوزي وهو ابن أبي الفرج بن الجوزي العلامة الفقيه المفسر الواعظ المؤلف المشهور وذلك في ترجمة « بوران بنت الحسن بن سهل » وفي سيرة « قطر الندى بنت خمارويه » . قال في الموضع الأول : « أخبرني أبو القاسم علي بن عبد الرحمن بن علي إذناً عن [أبي] محمد < بن^(٢) > عبد الله بن الخشاب النحوي . . . » وفي الموضع الثاني : « أنبأني أبو القاسم علي بن عبد الرحمن ابن علي عن أحمد بن المقرَّب . . . » . وسيأتي في التعليق على ترجمة علي بن الجوزي هذا أنه توفي في سلخ شهر رمضان سنة ٦٣٠ هـ^(٣) أي قبل مولد ابن الفوطي باثنتي عشرة سنة .

وروى المؤلف عن أبي محمد عبد العزيز بن محمود المبارك الجنايذي المعروف بابن الأخضر في ترجمة « قرّة العين جارية المعتصم بالله » قال : « أنبأني أبو محمد الجنايذي عن أبي بكر الحنبلي . . . » . وأبو محمد الجنايذي هو عبد العزيز بن محمود بن الأخضر ، المقدم ذكره ، قال ياقوت الحموي : « جُنَابِذ . . . ناحية من نواحي نيسابور وأكثر الناس يقولون إنها من نواحي قهستان من أعمال نيسابور

(١) تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار كتب كبريج ٢٩٢٤ الورقة ٣٥ » تاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٢١٧ » .

(٢) علامة للمزيد في نص الكتاب غلطاً ، والتي قبلها للناقص من الكتاب سهواً .

(٣) التكملة لوفيات النقلة : لزكي الدين المنذرى « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية » ١٩٧٢

د ج ٢ الورقة ١٣٤ . ومرة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٦٧٨ طبعة حيدر آباد » . وشذرات الذهب . . . « ١٣٧ » .

وهي كورة يقال لها كنباذ وقيل هي قرية ينسب إليها خلق من أهل العلم . . .
 وشيخنا عبد العزيز بن المبارك^(١) بن محمود الجنباذي الأصل ، البغدادي المولد
 والدار ، يكنى أبا محمد بن أبي نصر بن أبي القاسم ويعرف بابن الأخضر ، يسكن
 درب القيار من محال نهر المعلي شرقى بغداد . . .^(٢) » .

وروى المؤلف عن محمد بن عبد الواحد الهاشمي في ترجمة « قبيحة مولاة العباس
 ابن الحسن » المقدم ذكرها آنفاً ، قال : « أنبأني محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن
 محمد بن عبد الله قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار إذناً . . . » . وسيأتى في التعليق
 على ترجمته أنه توفي سنة « ٦٤٠ هـ » أي قبل ميلاد ابن الفوطى بسنتين .

والدليل الرابع هو ما ورد في سيرة « شاهان جارية المستنصر بالله » وهو قول
 المؤلف : « ولما توفي مولاها الإمام المستنصر بالله . . . و بويع ولده سيدنا ومولانا
 الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين — أيد الله شريف دولته القاهرة ، وبلغه آماله
 في الدنيا والآخرة — أجراها على عاداتها . . . » . فهذا كلام مؤرخ يمدح المستنصر
 بالله في حياته ، وألف تاريخه على عهده ، وهو أمر يوافق حال ابن الساعى لا حال
 ابن الفوطى ، والمستنصر ولى الخلافة سنة « ٦٤٠ » وقتل سنة « ٦٥٦ » وأسر المغول
 ابن الفوطى سنة وفاة المستنصر ، وعمره يومئذ أربع عشرة سنة ، فهو لم يؤلف شيئاً
 قبل أسره ولا عرفت له في ذلك الوقت كتابة أدبية تاريخية كائناً ما كان نوعها ،
 بله أن الذى عمره أربع عشرة سنة عاجز بالبداهة عن التأليف والتصنيف والإسناد
 إلى الشيوخ الكبار كما هو ظاهر في هذا الكتاب ، فهذا الكتاب من تصانيف

(١) الصواب « ابن محمود بن المبارك » راجع الكامل في حوادث سنة « ٦١١ » وذيل الروضتين
 « ص ٨٨ » وذيل طبقات ابن رجب « ٢ : ٧٩ » والشذرات « ٥ : ٤٦ » وغيرها ، وجاء في تذكرة
 الحفاظ للذهبي « ٤ : ١٧٠ » عبد العزيز بن مسعود وهو خطأ ، ولم يصحح هذا الخطأ مصلحو معجم
 البلدان ، طبعة دار صادر بيروت .

(٢) معجم البلدان في « جنباذ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية » ٢ : ٢٩٧ .

تاج الدين على بن أنجب المعروف بابن الساعى ولا صلة له بابن الفوطى ، والغريب أن اسم المؤلف لم يكتب على الكتاب بل جاء فى أول ورقة منه « كتاب جهات الأئمة ^(١) الخلفاء من الحرائر والإماء » . وكأنه كان من الشهرة والشيوع والذيع بحيث لم يحتج إلى ذكر مؤلفه . وهذا خطأ مُبين فى نسخ المؤلفات والمصنفات ، لأن العصور مختلفة، والمعارف متغيرة متبدلة ، فالكتاب المشهور فى عصر قد يخمل ذكره فى عصر آخر ، والمؤلف المعروف فى زمن من الأزمان قد تذهب شهرته فى عصر آخر، أو يذهب كثير منها ، فابن النجار المؤرخ البغدادى ، كان عمدة المؤرخين فى أزمان طويلة ، ولا يعرفه اليوم إلا من تبَحَّرَ فى التواريخ ^(٢) .

(١) يجوز قلب الهمزة ياء للتخفيف .

(٢) ومن المجهولين اليوم من المؤرخين على بن محمد الكازرونى، ومحمد بن أحمد القادسى، وعز الدين الحسن بن أحمد بن زفر الأربلى صاحب النحاميع التاريخية فى سير الشعراء والأدباء والأعيان ، وراوى قصة صنى الدين عبد المؤمن بن يوسف الأرموى مع هولاكو «راجع ثمرات الأوراق لابن حجة ج ٢ ص ٣٤» .

مصدر النسخة وصفتها

ذكرنا فضل الأستاذ العلامة ماسنيون في تنبيهنا على وجود هذه النسخة في مجموعة من مجاميع خزانة كتب ولي الدين باستانبول ، وبعد علمنا بذلك تاقت النفس إلى الاطلاع على مضمون الكتاب ، ولم نجد فرصة لتصويره بالمايكروفيلم إلا سنة ١٩٥٢ ففيها أقيم مهرجان ألفي لمولد ابن سينا الحكيم الفيلسوف ببغداد ، ودُعي إليه أعيان العلماء والمحققين من شرقيين ومستشرقين ، وكان في الوفد العلمي التركي الأستاذ الأديب اللغوي الأريب « أحمد آتش » مدرس الأدب العربي والأدب الفارسي في جامعة استانبول ، فرغبت إليه أن يصوّر لي هذه النسخة بالمايكروفيلم ، فأجابني إلى ذلك — حفظه الله — بغير تلكك ولا اعتذار ، وما كاد يعود إلى استانبول حتى صوّرّها بفلم ، ومقدار أوراقها « خمسون ورقة » في شريط تصويري واحد ، كما هو مألوف ، وسلم — أيده الله — التصوير إلى قنصل العراق باستانبول فبعث به إليّ متلطفاً ، وقد كتبت كتاباً إلى الأستاذ الأريب « أحمد آتش » أستعلم مقدار النفقة على تصوير الفلم فلم يرِدْ عليّ منه جواب ، ولعله سكت عن الإجابة استقلالاً للمبلغ — أحسن الله جزاءه عن العلم والأدب وأهليهما — .

ولما حصل فلم النسخة في يدي طلبت إلى إدارة مجمعنا العلمي العراقي أن تصوّره بنفقتي على ورق « الفوتوستات » ليكون صالحاً للقراءة والنشر ، وفي المجمع جهاز آلي تصويري يعالج هذا وأمثاله ، فصوّرت النسخة فيه وكانت النفقة على التصوير بل أجرته خمسة دنانير ، لخمسین ورقة ، وهي مجموع ورق الكتاب ، وبقيت النسخة المصوّرة في خزانة كتبني حتى هبّا الله تعالى لها هذه الفرصة ، فنسختها وصححت ما فيها من خطأ النسخ وعلقت عليها تعاليم ، تختلف قصراً وطولاً ، على حسب

الحاجة ، وأرجو أن لا تخلو من فائدة ، يقطفها القارئ في أثناء قراءته الكتاب ، والباحث عند استمداده منه ، ولا أبرئ نفسي من تقصير ولا من ذهول . فإن نشر كتاب مخطوط أول مرة لا يبلغ الكمال في كل الأحوال .

وخط النسخة نسخي واضح ، إلى الجمال ما هو ، وتاريخه هو « يوم الثلاثاء رابع شهر رجب الفرد سنة تسعمائة » كما جاء في آخر الكتاب ، وقد جاء في الورقة الخمسين ما هذا نصه « نبذة بسيرة من نكت الظرفاء : قيل جاء رجل إلى سليمان ابن داود عليه السلام . . . » .

هذا وينبغي لنا أن ننبه على أن الناسخ لم يكن من الأدباء المحققين لأنه نقل في عدة مواضع ما لم يفهمه من الكتاب ، ونسخ ما هو غير واضح ، لوقوع الخطأ في نسخه ، وهو يترك بعض النقط أحياناً فيكتب ثقتي « ثقتي » ، والهمز أحياناً مثل « الخلفاء » أي الخلفاء ، ومجى بمعنى « المجيء » ، ويقاب الهمزة أحياناً مثل « الحرائر » للحرائر ، ويهمل نقط الياء تارات فقيه مثل « يتزوج جاريتي بعد أن يلي الخلافة » ويجمع آونة بين العوض والمعوذ عنه مثل « لبكاييه » ، ويترك نقط التاء أحياناً مثل « بدعه » لبدعة ، و « متوقفه » لمتوقفة .

وقد حدث خلل في النسخة وهو أن قسماً من أخبار « عنان جارية الناطقي » أدغم في أخبار « بدعة الكبيرة » فاستوجب ذلك تنبيهنا وإصلاح الخلل ، ولم ينبه على ذلك أحد قبلنا .

وأختم هذا التصدير بأن أذكر أن المؤلف لم يلتزم شرط كتابه بتضمينه إياه نساء الخلفاء من الحرائر والنساء حسب ، فقد أضاف إليه من نساء السلاطين كخاتون السفرية حظية السلطان ملكشاه ، وزبيدة زوجة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، ومن نساء الأمراء كسريرة الراقية ، وست النساء الطولونية ، وقييحة مولاة الوزير العباس بن الحسن وزير المقتدر بالله ، وبالله ثقتي وعليه اعتمادى وتوكلى وهو الموفق للصواب .

مصطفى جواد

نساء الخلفاء

المسقى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ تَقِي

(اظ)

أما بعد حمد الله رب العالمين ، والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين ،
فإني لما جمعتُ كتاب « أخبار مَنْ أدركتُ خلافةَ وَلَدِهَا » من
جِهاتٍ^(١) الخلفاء ، ذوات المعروف والعطاء ، أُحِبُّتُ أَنْ أَذْكَرَ مَنْ
اشتهرَ ذِكْرُهَا مِنْ حِظَايَا الخلفاء ، الحرائر والإماء ، وبالله التوفيق .

١ - حَمَادَةُ^(٢) بِنْتُ عَيْسَى^(٣)

زوجة الإمام أبي جعفر عبد الله المنصور . أخبرني عبد الوهاب بن علي

(١) جهات جمع جهة ، وهي كناية عن زوجة الخليفة أو حَظِيَّتَه ، وعن
زوجة السلطان أو حَظِيَّتَه ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده ،
وأريد بها أحياناً « السيدة » المتزوجة مطلقاً « الكامل ج ١٠ ص ٧ طبعة أحمد
الحلي سنة ١٣٠٣ » و « المنتظم ج ٨ ص ١٧٠ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ وغيرها » .
و « مختصر مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٤٥ طبعة حيدر أباد الدكن » ومختصر مناقب بغداد
ص ٢٠ بمطبعة دار السلام ببغداد » و « كتاب الأموال لأبي عبيد » ص ٦١٥ طبعة
عبد اللطيف الحجازي بالقاهرة » و « مختصر صبح الأعشى ص ٣٨٦ » . وسيرد
استعمال المؤلف « الجهة » بمعنى السيدة في هذا الكتاب غير مرة .

(٢) ورد ذكرها في الأغاني « ج ١٠ ص ٢٦٢ طبعة دار الكتب المصرية » .
و « ج ٩ ص ١٢٨ طبعة محمد ساسي بمصر » .

(٣) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عم السفاح
والمنصور وإليه نسب قصر عيسى وقطيفة عيسى بالجانب الغربي من بغداد . ولد
سنة ٨٣ وتوفي ببغداد سنة ١٦٤ « تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١ ص ٩٢ ،
وج ١١ ص ١٤٧ » ومعجم البلدان لياقوت الحموى في « قصر » و « قطيفة » .

الأمين^(١) إجازة ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الشيباني ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد (٢) ابن عبد الله بن زياد القطان سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول : « لما ماتت حمادة بنت عيسى زوجة المنصور وقف المنصور والناس معه على حُفرتها ينتظرون مجيء الجنّازة وأبو دلامة فيهم ، فأقبل عليه المنصور فقال : يا أبا دلامة ما أعددت لهذا المصارع ؟ قال : حمادة بنت عيسى يا أمير المؤمنين^(٢) . قال فضحك القوم . »

(١) الأمين ويجمع في التكسير على الأمناء ، هو الرجل الذي يستحفظه القاضي أموال الأيتام والغائبين « معيد النعم ومبديد النقم ص ٦٢ طبع دار الكتاب العربي . » وأبو أحمد الأمين هو شيخ الشيوخ ضياء الدين عبد الوهاب بن علي ابن علي بن عبيد الله البغدادي الشافعي المحدث الزاهد الفقيه الورع المقرئ البارع ، ولد ببغداد سنة ٥١٩ وتوفي بها سنة ٦٠٧ وترجمته مفضلة في ذيل تاريخ بغداد لابن الديبشي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٥٥ » ، والتاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٤ » ، والتكملة لوفيات النقلة ، لزكي الدين عبد العظيم المنذرى المصرى « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ١٩٨ د ج ١ الورقة ٢٧ » ، والكامل في وفيات سنة ٦٠٧ ، وذيل الروضتين لأبى شامة المقدسى « ص ٧٠ . » وتاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٦٠ » والوفى بالوفيات للصفدى « نسخة بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٩٠ . » وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة « نسخة بباريس ٢١٠٢ الورقة ٥٧ » ، والنجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ . » والشذرات « ٥ : ٢٥ » وغيرها .

(٢) في الأغاني « ١٠ - ٢٦٢ » أنّ أبا دلامة أجابه قائلاً : « بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى ، يجاء بها الساعة فتدفن فيها » وتام الخبر فيه هو : « فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه » . وأبو دلامة زند بن الجون له ترجمة في الأغاني « ج ١٠ ص ٢٣٥ » ووفيات الأعيان وغيرها .

٢ - غادر^(١) جارية الإمام الهادي

قال جعفر^(٢) بن قدامة : « كانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وكان يُحبُّها حبًّا شديداً ، فيينا هي تُغنيّه يوماً عَرَضَ له فِكر وسهو ، فسأله مَنْ حَضَرَ مِنْ خواصّه فقال : قد وقع في فِكرى أنى أموت وأنّ أخى هارون يتزوَّج جاريّتى بعد أن يلىّ الخلافة . فقيل له نعيذك بالله ، (٢ ظ) ويُقدِّمُ الكلُّ قبلك . فأمر بإحضار أخيه وعرفّه ما خطر له ، فأجابّه بما يُحبُّ من ذلك . فقال : لا أرضى حتى تحلفَ أنى متى مُتُّ لا تزوّجها . فحلفه واستوفى عليه الايمان : من الحجّ راجلاً وطلاق الزوجات وعتي الممالك وتسجيل^(٣) ما يملكه ، ثم أحلفها بمثل ذلك فحلفت . فلم يمضِ على ذلك إلا شهرٌ ، ومات الهادي وبُويع الرشيد ،

(١) الأغاني « ج ١٩ ص ١٢٢ طبعة محمد ساسى .

(٢) قال أبو بكر الخطيب البغدادي : « أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وافر الأدب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها » . « تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٧ » وكانت وفاته سنة ٣١٩ ، « معجم الأدباء ج ٢ ص ٤١٢ » طبعة مرغوليوث . وذكره ابن النديم في الفهرست في ترجمة ولده « قدامة » قال : « كان أبوه جعفر ممن لا يفكر فيه ، ولا علم عنده » . « ص ١٨٨ من الطبعة المصرية » ، قال هذا مع أن أبا الفرج الأصبهاني يروى عنه « الأغاني ١ : ٨٣ ، ٢ : ٤٦ ، ٣ : ٢٨٠ » طبعة دار الكتب ، وهو فيه « جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب » . والذي في فهرست ابن النديم « قدامة بن جعفر بن قدامة » فهل قدامة ابن جعفر اثنان ؟ هذا هو الظاهر .

(٣) يقال « سَبَّلَ الشَّيْءَ تسبيلاً » أي جعله في سبيل الله ووقفه على وجوه البرّ والإحسان . « القاموس » .

فبعث إلى غادر وخطبها ، فقالت : كيف نصنعُ بالإيمان ؟ فقال :
 أَكْفَرُ عَنْ الْكُلِّ وَأَحْجُ رَاجِلًا . فَأَجَابَتْ ، وتزوجها وزاد شغفًا بها
 حتى إنه صار يضعُ رأسها في حجره ، فتنامُ فلا يتحركُ حتى تنبهِه .
 (٢٣) فَيَيْنَاهِي نَائِمَةً ذاتَ يومَ أَتَيْتُ فَرِعَةً تَبْكِي ، فسألها عن حالها ،
 فقالت : رَأَيْتُ أَخَاكَ السَّاعَةَ فِي النُّومِ وَهُوَ يَقُولُ :

أَخْلَفْتُ وَعْدِي بَعْدَمَا جَاوَزْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
 وَحَلَفْتُ لِي^(١) أَيْمَانَكَ الْكُذْبَ الْفَوَاجِرُ
 وَنَكَحْتَ غَادِرَةً أَخَى صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ غَادِرُ
 أَمْسَيْتُ فِي أَهْلِ الْبَيْلِ وَغَدَوْتُ فِي الْجُورِ الْعَوَائِرِ^(٢)
 لَا يَهْنِكَ الْإِئْفُ الْجَدِيدُ وَلَا تَدُرُ عَنْكَ الدَّوَائِرُ
 وَلِحَقْتُ بِي قَبْلَ الصَّبَا حِجَّ وَصِرْتُ حَيْثُ غَدَوْتُ صَائِرُ

وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَأَنِّي أَسْمَعُهَا وَكَأَنَّمَا كَتَبَهَا فِي قَلْبِي فَمَا نَسِيتُ
 (٢٤) مِنْهَا كَلِمَةً . فَقَالَ لَهَا الرَّشِيدُ : أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ . فَقَالَتْ : كَلَّا . ثُمَّ
 لَمْ تَزَلْ تَضْطَرُّبُ وَتُرْعَدُ ، حَتَّى مَاتَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ
 ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً .

(١) نقصان في نسخة الأصل .

(٢) هكذا وردت الكلمة في الأصل ، والعوائر جمع العائرة من عارت

تعيرُ أي ذهبت وجاءت فهي حرة الحركات أو هي « الغوائر » جمع الغائرة .

٣ - عِنَانُ^(١) بنت عبد الله جارية الناطفي

كانت شاعرة ظريفة ، ولها أخبار مدونة ، ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني فقال : « كانت عِنَانُ جاريةُ النَطَّافِ^(٢) صفراءَ مُولدةً من مُولِّداتِ اليمامة وبها نشأت وأدبت ، واشتراها النطاف ، وهم الرشيد بابتياعها منه فمنعه منها اشتهاؤها وما هجاها به الشعراء مع حبِّه لها وميله إليها ، وإيثاره إياها . وقيل إنه أحضرها لibtاءها من سيدها فطلب ثمنها مائة ألف درهم ، فأحضرها الرشيد عنده ثم ردَّها ، فتصدق سيدها بثلاثين ألف درهم . فلما مات مولاها (٤٠) بيعت بمائتي ألف درهم . وكانت أوَّلَ مَنْ اشتهر بقول الشعر في الدولة العباسية وأفضَلَ مَنْ عُرِفَ مِنْ طبقتها . ولم يزل فحول الشعراء في

(١) الأغاني « ج ١٠ ص ٩٦ و ج ٢٠ ص ٧٦ طبعة محمد ساسي » ، والمحاسن والأضداد المنسوب غلطاً إلى الجاحظ « ص ١٤٨ طبعة المطبعة المعاهد بمصر » ، والوزراء والكتاب للجهمشياري « ص ١٥٩ طبعة عبد الحميد حنفي بمصر ، وفهرست ديوان أبي نواس ، و بدائع البدائ « ص ٤٨ » ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز « ص ٤٢١ » . والعقد الفريد « ٥٧ : ٦ » وديوان العباس بن الأحنف « ص ١٠٧ » ، وكتاب الورقة لابن الجراح « ص ٣٩ وغيرها » والجزء الثالث والعشرون من الأغاني من نسخة خزانة فيض الله بالآستانة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٠١٨ ز .

(٢) النطاف والناطفي : بائع الناطف وهو نوع من الحلوى اسمه « القُبَيْطُ » أيضاً ، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم - أعني الناطف - في ماردن وما حولها ، وهذه الحلوى إذا باتت فقدت لذتها ونفاستها .

عصرها يَلْقَوْنَهَا فِي مَنْزِلِ مَوْلَاهَا ، فَيُقَارِضُونَهَا الشَّعْرَ وَتَنْتَصِفُ مِنْهُمْ .
وَأُعْتِقَتْ بَعْدَ وَفَاةِ مَوْلَاهَا إِمَّا بِعِتْقِ كَانَ مِنْهُ لَهَا أَوْ أَنَّهَا وَلَدَتْ مِنْهُ ^(١) .
وَرَوَى الْأَصْفَهَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى مَرْوَانَ ^(٢) بَنِ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ : « لَقِيَنِي
الْناطِئِيُّ فَدَعَانِي إِلَى عِنَانٍ . قَالَ : فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فَدَخَلَ إِلَيَّ قَبْلِي ، فَقَالَ لَهَا :
قَدْ جِئْتُكَ بِأَشْعَرِ النَّاسِ مَرْوَانَ بَنِ أَبِي حَفْصَةَ . وَكَانَتْ عَلِيلَةً ، فَقَالَتْ :
(٤ ط) إِنِّي عَنْ مَرْوَانَ لَفِي شُغْلٍ . فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِسَوْطِهِ فَضَرَبَهَا بِهِ ، وَقَالَ لِي :
أَدْخُلْ . فَدَخَلْتُ وَهِيَ تَبْكِي ، فَرَأَيْتُ الدَّمْعَ تَتَحَدَّرُ مِنْ عَيْنَيْهَا فَقُلْتُ :
بَكَتْ عِنَانٌ مُسْبِلًا دَمْعُهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَسْبِقُ مِنْ خَيْطِهِ ^(٣)
فَقَالَتْ مُسْرِعَةً :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا ظَالِمًا تَيْبَسُ يُمْنَاهُ عَلَى سَوْطِهِ
فَقُلْتُ لِلنَّطَافِ : أَعْتَقَ مَرْوَانُ مَا يَمْلِكُ إِنْ كَانَ فِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
أَشْعَرُ مِنْهَا .

(١) لَا يَتَّفَقُ هَذَا الْقَوْلُ وَمَا نَقَلَهُ آتِفًا مِنْ أَنَّهَا بِيَعْتَ بَعْدَ وَفَاةِ مَوْلَاهَا .

(٢) هُوَ أَبُو السَّمَطِ وَقِيلَ أَبُو الْهَيْذَامِ مَرْوَانَ بَنِ سُلَيْمَانَ بَنِ يَحْيَى بَنِ أَبِي
حَفْصَةَ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ فِي صَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . عَاصَرَ الْخَلِيفَةَ أَبَا جَعْفَرَ
الْمَنْصُورَ . وَالْمَهْدِيَّ بَنِ الْمَنْصُورِ وَابْنَهُ مُوسَى الْهَادِيَّ وَالرَّشِيدَ . وَتَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ
« ١٨١ » أَوْ سَنَةَ « ١٨٢ » . « الْأَغَانِي ج ١٠ ص ٧١ وَمَوَاضِعُ أُخْرَى مِنَ الْأَغَانِي » ،
وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ لِابْنِ خُلِكَانٍ « ج ٢ ص ٢٠٦ طَبْعَةُ بِلَادِ الْعَجَم » . وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ
« ص ٢٩٥ ، طَبْعَةُ مِصْطَفَى مُحَمَّدٍ بِمِصْرَ » . وَمَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ لِلْمَرْزُبَانِيِّ « ص ٣٦٥ ،
٣٩٦ » وَشَعْرُهُ مُسْتَفِيزٌ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ لِمُعَالَجَتِهِ الشَّعْرَ السِّيَاسِيَّ .

(٣) فِي الْمَحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ :

إِنْ عِنَانًا أُرْسَلَتْ دَمْعُهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَنْسِلُ مِنْ سَيْمِطِهِ

وَحَدَّثَ عَنْ الْجَوْهَرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
قَالَ قَالَ رَجُلٌ : تَصَنَّنَحْتُ كُتُبًا فَوَجَدْتُ فِيهَا يَتًا جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ
مَنْ يُجِيرُهُ فَلَمْ أَجِدْ ، فَقَالَ لِي صَدِيقٌ : عَلَيْكَ بِعِنَانٍ جَارِيَةٍ النَّاطِفِيَّ .
فَاتَيْتُهَا فَأَنْشَدْتُهَا :

(٥٥)

وَمَا زَالَ يَشْكُو الْحُبَّ حَتَّى رَأَيْتُهُ تَنْفَسَ مِنْ أَحْشَائِهِ وَتَكَلَّمَ

قَالَ : فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قَالَتْ :

وَيَبْكِي فَأَبْكِي رَحْمَةً لِبَكَائِهِ إِذَا مَا بَكَى دَمْعًا بَكَيتُ لَهُ دَمًا

وَأَخْبَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَمِيدٍ أَنَّ اللَّهَ بْنَ عُمَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ عَنْ
مَسْعُودِ بْنِ عَيْسَى قَالَ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ قَالَ : دَخَلَ
أَبُو نُوَاسٍ عَلَى النَّاطِفِيَّ ، وَعِنَانُ جَارِيَتُهُ تَبْكِي ، وَخَذُّهَا عَلَى رِزَّةٍ فِي مِصْرَاعِ
الْبَابِ وَقَدْ كَانَ النَّاطِفِيُّ ضَرْبَهَا . فَأَوْمَأَ إِلَى أَبِي نُوَاسٍ أَنْ يُحَرِّكَهَا بِشَيْءٍ .
فَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

(٥٦ ط)

عِنَانُ لَوْ جُدْتُ لِي فَإِنِّي مِنْ عُمَرِيُّ بِمَا آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا

يَعْنِي : فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، لِأَنَّ « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ »
آخِرُ آيَةٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ^(١) . فَردَّتْ عَلَيْهِ عِنَانُ :

(١) سورة البقرة « الآية ٢٨٥ » وبعدها آيتان ، فليست آخر آية في
هذه السورة .

فَإِنْ تَمَادَى^(١) - وَلَا تَمَادَيْتَ - فِي قَطْعِكَ حَبْلِي أَكُنْ كَمَنْ خَتَمًا
فَرَدَّ عَلَيْهَا :

عَلِقْتُ مَنْ لَوْ أَتَى عَلَى أَنْفُسِ الْ مَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ^(٢) مَا نَدِمَا
فَرَدَّتْ عَلَيْهِ :

لَوْ نَظَرْتُ عَيْنُهُ إِلَى حَجَرٍ وَلَدَ فِيهِ فُتُورُهَا سَقَمَا

وحدث^(٣) عن جعفر بن قدامة عن أبي العيناء عن العباس بن رستم
قال . دخلتُ أنا وأبان^(٤) اللاحقَ على عِنَانٍ جارية الناطقِ في يومٍ من

(١) أصله « تَمَادَى » مضارع « تَمَادَيْتَ » فحذفت التاء المزيدة للتخفيف
وبقيت تاء المضارعة . والفعل مجزوم بإن الشرطية . وحافظ على الألف في آخر
الفعل لضرورة الشعر ، فإن حذفها للجزم يؤدي إلى كسر البيت .

(٢) أراد بالغابرين « الباقين » بدلالة مقابلة « الماضين » به وهذا هو الوجه
الفصيح في استعمال « الغابر » وهو الوارد في القرآن الكريم . وأما استعمال
« الغابر » بمعنى الماضي وكونه من الأضداد « كتاب الأضداد لابن الأنباري
ص ١١١ » فناشئ من رأينا في تصحيف « العابر » بالعين المهملة ، قال الجوهري
في الصحاح : « وعَبَّرَ القومُ أَى ماتُوا ، قال الشاعر :

فَإِنْ نَعْبُرُ فَإِنَّ لَنَا لُثَمَاتَ وَإِنْ نَغْبُرُ فَنَحْنُ عَلَى نُذُورِ
يقول : إن متنا فلنا أقران وإن بقينا فنحن ننتظر ما لا بدَّ منه كأنَّ لنا في إتيانه
نُذْرًا » . ١ هـ

(٣) روى أبو الفرج هذا الخبر في الأغاني « ٢٠ : ٧٦ » وأبو بكر الصولي
في كتابه الأوراق « ج ١ ص ٢٣ » طبعة المستشرق هيورث دن بمصر .

(٤) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن غفر مولى بني رقاش شاعر بصرى
مطبوع انتقل إلى بغداد واختص بالبرامكة . ونظم كليلة ودمنة في أربعة عشر
ألف بيت وقدمه إلى يحيى بن خالد بن برمك فأعطاه مائة ألف درهم وعمل له كتاب =

الصيف وهي جالسة في الخيش^(١) فقال لها أبان :

(١٦ و) لذة عيش الصيف في الخيش^(١)

فقلت :

لا في لقاء الجيش بالجيش

فقلت :

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض عن بكاء السماء

فقلت :

فهى كالوشى من ثياب يمان جلبتها التجار من صنماء

فقال^(٢) لها معرّضاً بها : ما أحسن ما قال جرير :

=المنطق بشعر أيضاً وأدب ابن المقفع ، وهو من أعيان الشعراء التعليميين وأسبقهم إلى الشعر التعليمي « أوراق الصولى ١ : ١ - ٥٢ » ، والأغاني « ٢٠ : ٧٣ » ، وفهرست ابن النديم « ١٦٣ » ، وطبقات الشعراء المنسوب إلى ابن المعتز « ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ » طبعة دار المعارف بمصر ، والبيان والتبيين للجاحظ « ١ : ٥٠ » طبعة لجنة التأليف والترجمة ، والحيوان له « ٤ : ٤٤٧ - ٤٥١ » و « ٥ : ٢٤١ » طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، والعمدة لابن رشيق « ج ١ ص ٦٤ » طبعة مطبعة السعادة بمصر .

(١) الخيش : ثياب في نسجها رقة وخبوطها غلاظ من مشاقة الكتان أو من أغلظ العصب جمعه أخياش وخبوش « القاموس » وهو معروف اليوم بمصر وعدة أقطار عربية .

(٢) في الأصل « وفكرت طويلاً حتى قالت » وهو مخالف لسياق الخبر فصيرناه إلى ما ترى . وهذه التهمة نقلناها من ترجمة « بدعة الكبرى » الآتى ذكرها . لأن الناسخ أقحمها في الورقة « ١١ » وهى من ترجمة بدعة .

ظَلِمْتُ أُرَاعِي صَاحِبِي تَجَلُّدًا وَقَدْ عَلِقْتَنِي مِنْ هَوَاكِ عُلُوقٌ^(١)

فَقَالَتْ غَيْرَ مُتَوَقِّفَةٍ :

(١١ ظ) إِذَا عَقَلَ الْخَوْفُ اللِّسَانَ تَكَلَّمْتُ بِأَسْرَارِهِ عَيْنٌ عَلَيْهِ نَطُوقٌ

وعن جعفر بن قدامة وجحظة قالا :

أَنشَدَنَا هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ أَنشَدَنِي أَبِي لِعِنَانٍ جَارِيَةٍ

الطَّافِي :

نَفْسِي عَلَى حَسَرَاتِهَا مَوْقُوفَةٌ فَوَدِدْتُ لَوْ خَرَجْتُ مَعَ الْحَسَرَاتِ

لَوْ فِي يَدَيَّ سِيَاقٌ^(٢) أَيَّامِي إِذَا خَطَرَفْتُهِنَّ^(٣) تَعَجُّلاً لَوْ فَاتِي

لَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا أَبْكِي مَخَافَةَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات رثت بها مولاها النطاف .

(١) ورد هذا البيت في ديوان جرير « ص ٣٩٧ طبعة الصاوي بمصر »

من قصيدة قافية ، يمدح بها الحجاج . على هذه الصورة :

بِتُّ . أَرَأَيْتُ صَاحِبِيَّ تَجَلُّدًا وَقَدْ عَلِقْتَنِي مِنْ هَوَاكِ عُلُوقٌ

(٢) في الأصل « سباب » . والسياق هو الموافق للسياق .

(٣) قال الجوهري في الصحاح : « خطرف البعير في سيره لغة في خذرف

إذا أسرع ووسّع الخطو بالطاء المعجمة » (كذا) ولا نرى وجهاً إلا للحاء المعجمة

وجاء في المقاييس لابن فارس في المنحوت من باب الحاء : « ومن ذلك تخطرف

الشيء : إذا جاوزه وهي منحوتة من كلمتين : خطر وخطف لأنه يشب كأنه

يختطف شيئاً . . . » . ولم يذكر الجوهري في « خذرف » ما يؤيد أن « خطرف »

لغة فيه . وفي القاموس « خطرف : أسرع في مشيته أو جعل خطوتين خطوة في

وساعته كتخطرف فيهما » وقال في الخذروف : « وخذرف : أسرع » .

وروى أبو العيْناء عن الجَمَّاز وغيره أن أبا نُوَاسٍ ألقى على عنان جارية
النَّطَافَ يَبْتَائُوهُ^(١) :

ذكر أبو الفرج أن عِنَانَ خَرَجَتْ إلى مصر وماتت هُنَاكَ في سنة
ست وعشرين ومائتين .

٤ - غَضِيضُ جَارِيَةِ الإِمَامِ الرَّشِيدِ

وَأُمُّ ابْنَتِهِ حَمْدُونَةُ^(٢) . ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه^(٣)
أن اسمها مُصَفَّى ، روت عن مَظْلُومَةٍ جَارِيَةٍ عَبَّاسِيَّةٍ^(٤) بنت المهدي ،
وكانت حَظِيَّةً عنده ، مَقَرَّبَةً لديه ، ماتت في خلافته .

(١) من هنا يتصل الخبر بأخبار « بدعة الكبرى » والأصل « بيتاً وهو هذه
الآبيات . . . » والاختلال ظاهر عليه فقطعنا الخبر . ويظهر أن الكتاب ناقص
لأننا لم نجد البيت الذي ألقاه عليها أبو نواس ولا جوابها عنه .

(٢) ذكرها أبو جعفر الطبري في تاريخه في حوادث سنة « ٢١٠ هـ »
وغيرها « ٣ : ٥٧٧ ، ٧٥٨ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ » . ولها ذكر في تاريخ بغداد
للخطيب البغدادي « ١ : ٩٤ » و « ٣ : ٣٩٢ » ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي
في « دار فرج » منه .

(٣) في تاريخ الطبري « قصف » بكسر الصاد والظاهر أن « مصفى »
تحريف قصف وقال الخطيب البغدادي في تاريخه « ٣ : ٣٩٢ » : « محمد بن
يوسف بن الصباح الغضيفي ، كان يتولى حمدونة بنت غضيف أم ولد الرشيد
فنسب إليها . . . مات الغضيفي سنة تسع وثلاثين ومائتين » .

(٤) صاحبة القصة الموضوعة المختلقة مع جعفر بن يحيى البرمكي . تزوجها
محمد بن سليمان بن علي العباسي ونقلها إلى البصرة ، وأقطعها المهدي « الشرق »
بالبصرة ، وتوفي عنها محمد فتزوجها محمد بن علي بن داود بن علي العباسي فمات =

٥ - هَيْلَانَةٌ^(١) جارية الرشيد

(ظ ٦)

أخذها من يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت بديعة الجمال ، ظاهرة الكمال ، فحُظِيَتْ عنده وأقامت معه ثلاث سنين ثم ماتت ، فَوَجِدَ عليها وجداً شديداً ثم قال يرثيها^(٢) :

=عنها ثم أراد عيسى بن جعفر العباسي أن يخطبها فلم يتم ذلك وإليها نسبت سويقة العباسية ببغداد . « راجع كتاب سيدات البلاط العباسي لمحقق هذا الكتاب » ص ٣٧ « والمحمدون من الشعراء للقفطي » نسخة باريس ٣٣٣٥ الورقة ١٢٢ ، ومحاضرات السيوطي « نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٢٩٧ الورقة ١٤٧ » . وسويقة العباسية من « معجم البلدان » والمعارف لابن قتيبة « ص ١٦٦ » وعيون الأنباء « ١ : ١٣٦ ، ٢ : ٣٥ » ومقدمة ابن خلدون « ص ٩ » وفتوح البلدان « ص ٣٦١ » ومروج الذهب « ج ٢ ص ٢٨٦ » وأخبار بغداد « ١١٤ » وأخبار الحكماء « ص ١٤٧ » ومعجم الشعراء « ص ٤٤٩ » .

(١) في الأصل « هيلانة » وقد جاء ذكر هيلانة في عدة كتب ، قال ياقوت في « حوض هيلانة » من معجم البلدان : « هيلانة : بفتح الهاء وياء ساكنة وبعد الألف نون وهو اسم قهرمانة المنصور أمير المؤمنين ، وكانت ذات منزلة كبيرة عنده وقيل إنها سميت هيلانة لأنها كانت تكثر من قول (هي الآن) إذا استعجلت أحداً في شيء تأمره به ، وسميت هيلانة لذلك . وحفرت هذا الحوض بالجانب الشرقي وسببته فنُسب إليها ، وبباب المحوّل من الجانب الشرقي (كذا والصواب الغربي) إقطاع لهيلانة أقطعها إياه المنصور . وذكر بعضهم أن هيلانة هذه كانت من حظايا الرشيد وأنها حين ماتت حزن عليها كل الحزن حتى امتنع من الأكل والشرب ... إلى آخر القصة . وجزم ياقوت بأنها حظية الرشيد كما جاء في « ربض هيلانة » من معجم البلدان قال : « ربض هيلانة : بين باب الكرخ وباب محوّل ، وهيلانة إحدى حظايا الرشيد » . وقد استمد أكثر ذلك من تاريخ بغداد للخطيب « ١ : ٩٧ ، ٩٨ » . وذكر الشابشتي في الديارات أن « هيلانة كانت جارية الهادي ثم استخصّها الرشيد » ص ١٤٦ .

(٢) ذكر الخطيب البيهقي في تاريخه « ١ : ٩٨ » .

قد قلتُ لما ضَمَّنوكِ الثرى وجالت الحسرةُ في صدرى :
 « اِذْهَبْ فلا والله ما سَرَّنى بَعْدَكَ شَيْءٌ آخَرَ الدَّهْرِ »
 ورثاها العباس بن الأحنف بأربعين بيتاً^(١) فأمر له الرشيد بأربعين
 ألف درهم لكل بيت ألف درهم ، وكانت وفاتها في سنة ثلاث وسبعين ومائة .

٦ - عَرِيبُ المأمُونِيَّة^(٢)

قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ، لما انتهت دولة البرامكة^(٣)
 سُرِقَتْ وهى صغيرة وبيعت ، فاشتراها الأمين محمد بن الرشيد ثم اشتراها
 أخوه المأمون عبد الله ، وكانت شاعرة مجيدة ، ومُغْنِيَةٌ مُحْسِنَةٌ . أنبأنى

(١) فى ديوانه أربعة أبيات منها « ص ٥٩ ، ٦٠ » طبعة الدكتور
 عاتكة وهبى الخزرجى ، وفى معجم البلدان ثلاثة أبيات منها . ورثاها أيضاً بأربعة
 أبيات أخرى كافية ؛ ذكرها الخطيب ، وجاءت فى ديوانه « ص ٢٠٨ » مقولة
 على لسان الرشيد يرثى جارية من غير تصريح باسمها .

(٢) قال شمس الدين الذهبى فى « المشتبه فى أسماء الرجال » : « وبالضم
 عَرِيبٌ : مغنية المتوكل لها أخبار » « ص ٣٥٩ » . وفى الجزء الثامن عشر من
 الأغانى شعر يدل على أن العين مفتوحة والراء مكسورة وهو :

لقد ظلموك يا مظلوم لما أقاموك الرقيب على عريب
 ولو أولوك إنصافاً وعدلاً لما أخلوك أنت من الرقيب

وسيرتها فى الأغانى « ١٨ : ١٧٥ وما بعدها » . والديارات « ص ٦٤ ، ٦٥ ،
 ٩٩ ، ١٠٥ » . ونشوار المحاضرة « ١ : ١٣١ ، ١٣٢ » ، وأخبار بغداد لابن طيفور
 « ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٧٩ » ، والوزراء والكتاب « ١٥٤ ، ١٥٥ » ،
 ووفيات سنة « ٢٧٧ » من كامل ابن الأثير ، ونهاية الأرب « ٥ : ٩٥ - ١١٢ »
 وأصواتها مبنوثة فى أكثر أجزاء كتاب الأغانى . ولها ذكر فى كتاب المحاسن
 والأضداد « ص ١٥٢ » . وطبقات الشعراء المنسوب إلى ابن المعتز « ص ٤٢٥ » .

أبو أحمد الأمين^(١) عن ابن ناصر^(٢) قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي أخبرنا عبيد الله بن محمد العكبري حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أبو هاشم حدثنا ميمون بن هارون الكاتب قال حدثني عريب قال :

وَجَّهَ أمير المؤمنين [الرشيد] إلى أهلى — تَعْنَى البرامكة — وقد أوقع بهم، وكانت تزعم أنها بنت جعفر بن يحيى، [مَنْ] يسألهم عن أحوالهم

(١) اسمه عبد الوهاب بن علي « راجع ص ٤٤ ح ١ » .

(٢) قال قوام الدين أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني الأديب المنشئ المتوفى بدمشق ٦٤٣ وهو مترجم الشاهنامة إلى العربية ، في كتابه « ذيل تاريخ بغداد » نقلاً من ذيل تاريخها لأبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن السمعاني مؤلف الأنساب ، في ترجمة ابن ناصر هذا : محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السَّلامى أبو الفضل ، كان يسكن درب الشاكرية من المحال الشرقية (ببغداد) . حافظ ثقة ، دين خير ، مُتَقِنٌ مُتَثَبٌ ، وله حظ كامل من اللغة ومعرفة تامة بالمتون والأسانيد . كثير الصلاة ، دائم التلاوة ، مواظب على صلاة الضحى ، غير أنه يحبُّ أن يقع في الناس ويتكلم في حقهم ، وكان يطالع هذا الكتاب ويلحق على حواشيه بخطه ما يقع له من مثالبهم . والله سبحانه يغفر لنا وله . . . » وذكر أنه توفى ببغداد سنة « ٥٥٠ » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦١٥٢ الورقة ٨٤ » . وله ترجمة في المنتظم لابن الجوزى « ١٠ : ١٦٣ » ومناقب أحمد بن حنبل له « ص ٥٣٠ » وأنساب السمعاني في « السَّلامى » ، والكامل في وفيات سنة « ٥٥٠ » . ومראה الزمان لسبط ابن الجوزى « مختصر ج ٨ ص ٢٤٥ » ، ووفيات الأعيان « ٢ : ٦٣ » ، وتذكرة الحفاظ للذهبي « ٤ : ٨١ » ، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ١٢١ » . والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٢٠ » والشذرات « ٤ : ١٥٥ » . ومن مروياته ديوان زهير بن أبي سلمى « راجع مقدمته ص ٤٠ ، ٤٢ » .

وأمره أن لا يُعلمهم أنه من قبيله . فصَارَ إلى الفضل بن يحيى عمى فسأله وقال له : ما خبركم [و] ما حالكم ؟ فقال :

سألونا أن كيف نحنُ فقللنا من هوى نجمه فكيف يكونُ !
نحن قوم أصابنا عنتُ الدهر فظللنا لرَيْبِهِ نستكينُ

وقال < أبو الفضل > أبو بكر الصولي : كانت عريبُ المأمونية تدعى أنها بنت جعفر ابن يحيى بن خالد من امرأة شريفة^(١) ، ولها شعر وصنعة في أشعار كثيرة . ولغنائها ديوان مُفرد . من شعرها ، والصنعة فيه لها :
لا غرّني بعدك إنسانُ فقد بدت لي منك ألوانُ
وإن تغيّرت فما حيلتي مالى على قلبك سلطان !

وأنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيق^(٢) عن أبي القاسم بن

(١) قال جلال الدين السيوطى فى كتابه المحاضرات : « كان فى بغداد لا يقال شريف إلا للعباسى ، ويقال لذرية على علوى ولا يقال شريف » ، « نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٢٩٧ الورقة ٦٠ » ونسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٣٤٠٦ الورقة ٦٥ » ، والظاهر أن هذا الاصطلاح تطور فى العصر البويهى وما بعده بدلالة وجود الشريف الرضى والشريف المرتضى والشريف ابن الشجرى « من ألقاب ورجال العلويين ، وفى العصور الأخيرة لُقّب أمراء مكة العلويون بالشريف للواحد منهم وبالشرفاء والأشراف للجماعة .

(٢) جاء فى أنساب السمعانى واللباب : « الدقيقى : بفتح الدال وكسر القافين بينهما ياء مثناة من تحتها ، هذه النسبة أيضاً إلى الدقيق وبيعه وطحنه ... » وقولهما أيضاً إشارة إلى « الدقاق » قالا : « الدقاق بفتح الدال المهملة وتشديد القاف وبعدها ألف ثم قاف أخرى ، هذه النسبة إلى الدقيق وعمله وبيعه . . . » وعبد الرحمن هذا عُرِف بثلاثة أنساب « الدقيقى والدقاق والطحّان » قال أبو عبد الله =

(٨٠) السمرقندى قال أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد العكبرى أخبرنا أبو الحسن محمد بن الصلت أخبرنا أبو الفرج الأصفهاني قال حدثني محمد بن مزيد [بن أبي الأزهر البوشنجي] ويحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحق قال : قال لي أبي :

ما رأيت امرأة قط أحسن وجهاً وأدباً ، وغناءً وضرباً ، وشِعراً
ولعباً بالشطرنج من عريب ، وما تشاء أن تجد خصلة حسنة ظريفة بارعة
من امرأة إلا وجدت فيها .

وبه عن أبي الفرج الأصبهاني قال حدثني جعظة قال حدثني علي بن يحيى بن المنجم قال :

خرجت يوماً من حضرة المعتمد فصرت إلى عريب ، فلما قرئت
من دارها أصابني مطر بل ثيابي إلى أن وصلت إلى دارها ، فلما دخلت

= ابن الديبى فى ذيل تاريخ بغداد : « عبد الرحمن بن سعد الله بن المبارك بن بركة
الواسطى الأصل ، البغدادى المولد والدار . أبو الفضل الطحان ، سمع أبا الفضل
ابن ناصر وأبا المحاسن عبد الملك بن علي الهمدانى . وكانت له إجازة من إسماعيل
ابن السمرقندى وعبد الوهاب الأنماطى وأبى منصور بن خيرون وجماعة ، سمعنا منه ،
قرأت على أبى الفضل عبد الرحمن بن سعد الله الدقاق » . وذكر بإسناده حديثاً
ثم قال : « سمعت عبد الرحمن بن الواسطى ، يُسأل عن مولده فقال : فى شعبان
سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ببغداد . وتوفى فى يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول
سنة خمس عشرة وستمائة ودفن بباب حرب . » نسخة كمبردج ٢٩٢٤ الورقة ٣٥ «
ولم يعلم المفهرس أنه تاريخ ابن الديبى ، وقد حققنا ذلك وتأكد لنا . وترجمه الذهبى
فى تاريخ الإسلام « نسخة باريس ١٥٨٢ الورقة ٢١٧ ، ٢١٨ » . ووصفه بالطحان
الدقاق ، وزاد على ما نقلنا أن الزكى البرزالى المحدث المشهور روى عنه أيضاً .

إِلَيْهَا أَمَرْتُ بِأَخْذِ ثِيَابِي، وَأُتَيْتُ بِخِلْعَةٍ فَلَبِستُهَا وَأُخْضِرْنَا الطَّعَامَ فَأَكَلْنَا، (٨ ظ)
وَدَعَتُ بِالنَّبِيدِ، وَأَخْرَجْتُ جَوَارِيَهَا، ثُمَّ سَأَلْتُني عَنْ خَيْرِ الْخَلِيفَةِ فِي
أَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَيْشٍ^(١) كَانَ صَوْتُهُ، وَعَلَى مَنْ كَانَ؟ فَأَخْبَرْتُهَا أَنَّ
بُنَانًا^(٢) غَنَّاها:

وَذِي كَلَفٍ بِكِيْ جَزَعًا وَسَفَرُ الْقَوْمِ مُنْطَلِقُ
بِهِ قَلَقٌ يُمَلِّمُهُ وَكَانَ وَمَا بِهِ قَلَقُ
جَوَارِحُهُ عَلَى خَطَرٍ بِنَارِ الشُّوقِ تَحْتَرِقُ
جُفُونٌ حَشَوُهَا الْأَرْقُ تَجَافِيْ ثُمَّ تَنْطَبِقُ

فَأَمَرْتُ صَاحِبًا لَهَا بِالْمَصِيرِ إِلَى بُنَانٍ وَإِحْضَارِهِ، فَضَى إِلَيْهِ وَجَاءَ بُنَانُ (٩ د)

(١) جاء في المصباح المنير في ش ي ع : « وقالوا أى شىء . ثم خففت الباء وحذفت الهمزة تخفيفاً، وجُعلا كلمة واحدة . قاله الفارابي . وقال الحفاجي في شفاء العليل : « أيش بمعنى أى شىء ، خفف منه ، نص عليه ابن السيد في شرح أدب الكاتب وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقال بعض الأئمة : جنبونا أيش . فذهب إلى أنها مولدة . وقول الشريف في حواشي الرضى : إنها كلمة مستعملة بمعنى أى شىء وليست مخففة منها . ليس بشىء . . . وأيش في معنى أى شىء كما يقال ويلُمُّه في معنى : ويل لأمه ، على الحذف لكثرة الاستعمال » ص ١٥ .

(٢) ضبط الذهبي في المشتبه « بناناً » ضبط القلم بضم الباء وتخفيف النون المفتوحة « ٥٣ » وضبط مصححو كتاب الأغاني بدار الكتب المصرية « بنان بن عمرو المغنى هذا » بفتح الباء وتخفيف النون المفتوحة « ٩ : ٣٠٢ ، ٣٠٥ » ، وغيرهما . وفي القاموس « البنان : الأصابع أو أطرافها ومائة وجبل لبنى أسد وموضع بنجد . وبالضم موضع واسم جماعة ، فالظاهر أن ضم الباء هو الصواب ، وهكذا ورد الاسم في نسخة الأصل .

مَعَهُ ، وَقُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، وَأُتِيَ بِعُودٍ فَاقْتَرَحَتْ عَلَيْهِ :

أَصَابَ الْوَابِلُ الْغَدِيقُ وصاحَ الزَّجْسُ الْغَرِيقُ

فَهَاتِ الْكَأْسَ مُتَرَعَّةً كَانَ حَبَابَهَا حَدَقُ

تَكَادَ بِنُورِ بَهْجَتِهَا حَوَاشِي الْكَأْسِ تَحْتَرِقُ

فَقَدْ غَنَّى بُنَانُ لَنَا «جُفُونٌ حَشَوُهَا الْأَرْقُ»

قال علي بن يحيى : فعدَلَ بُنَانٌ بِلَحْنِ الصَّوْتِ إِلَى شِعْرِهَا ، وَغَنَّا

فِيهِ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا .

وَبِهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَالَ :

وَقَعَتْ إِلَى رِقَاعِ لِعَرِيبٍ : مَكَاتِبَاتٌ مَنْشُورَةٌ وَمَنْظُومَةٌ ،

فَقَرَأَتْ رُقْعَةً مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى فَمِ الصِّلَحِ^(١)

(١) بَلَدَةٌ كَانَتْ عَلَى فُوهَةِ نَهْرِ الصِّلَحِ الْمُتَخَلِّجِ مِنْ نَهْرِ دَجْلَةٍ فَوْقَ وَاسِطٍ

مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، قَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « فَمِ الصِّلَحِ . . .

وَأَمَّا الصِّلَحُ فَهُوَ أَحْسَبُهُ إِلَّا مَقْصُورًا مِنَ الصِّلَاحِ بِمَعْنَى الْمَصَالِحَةِ وَإِلَّا فَهُوَ عَجْمِي

أَوْ مَرْتَجَلٌ ، وَهُوَ نَهْرٌ كَبِيرٌ فَوْقَ وَاسِطٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَبَلٍ ، عَلَيْهِ عِدَّةُ قُرَى ، وَفِيهِ

كَانَتْ دَارُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَزَيْرِ الْمَأْمُونِ وَفِيهِ بَنَى الْمَأْمُونُ بَبُورَانِ ، وَقَدْ نَسَبَ إِلَيْهِ

جَمَاعَةٌ مِنَ الرِّوَاةِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَهُوَ الْآنَ [٦٢٦ هـ] خَرَابٌ إِلَّا قَلِيلًا » . وَقَالَ ابْنُ

رِسْتِهِ فِي الْأَعْلَاقِ النَّفِيسَةِ : « . . . فَمِ الصِّلَحِ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَى شَرْقِ دَجْلَةٍ وَبِهَا مَسْجِدٌ

جَامِعٌ وَأَسْوَاقٌ » [ص ١٨٧] ، وَقَالَ ابْنُ خُلِكَانَ فِي تَرْجُمَةِ بُورَانَ « ١ : ١٠١ » : « وَفَمِ الصِّلَحِ

بِفَتْحِ الْوَاوِ وَبَعْدَهَا مِيمٌ وَكُسْرُ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَبَعْدَ اللَّامِ السَّاكِنَةِ حَاءٌ مَهْمَلَةٌ وَهِيَ

بَلَدَةٌ عَلَى دَجْلَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَاسِطٍ ، كَذَا ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ ، وَقَالَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ

فِي الْخَرِيدَةِ : الصِّلَحُ نَهْرٌ كَبِيرٌ يَأْخُذُ مِنْ دَجْلَةٍ بِأَعْلَى وَاسِطٍ عَلَيْهِ نَوَاحٍ كَثِيرَةٌ وَقَدْ

عَلَا النَّهْرُ وَآلُ أَمْرَتِكَ الْمَوَاضِعَ وَالنَّوَاحِيَ إِلَى الْخَرَابِ . قُلْتُ : وَالْعِمَادُ أَخْبَرَ بِذَلِكَ =

لِزَفَافِ بُورَانَ^(١) :

إِنَّمَا تَخَطَّتْ صُرُوفُ الرَّدَى بِقُرْبِ بُورَانَ مَدَى الدَّهْرِ
دُرَّةٌ خِذَرٍ لَمْ يَزَلْ نَجْمُهَا بِنَجْمِ مَأْمُونِ الْعَمَلِ يَجْرِي
حَتَّى اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فِي حِجْرِهَا بُورِكَ فِي ذَلِكَ مِنْ حِجْرِ

وَحَدَّثَ عَلَى بَنِ شَاذَانَ الْكَاتِبُ قَالَ قَالَتْ عَرِيبُ جَارِيَةِ الْمَأْمُونِ :

كُنْتُ مَعَ الْوَائِقِ وَهُوَ يَطُوفُ عَلَى حُجَرِ جَوَارِيهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى
الْأَنْبَارِ مَتْنَزُّهَا ، فَدَخَلَ إِلَى فَرِيدَةٍ : جَارِيَةٍ كَانَتْ يُحِبُّهَا جَدًّا ، وَكَانَ يَهْوَى
أَيْضًا وَصِيفَةً لَهَا ، لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِذَلِكَ غَيْرِي . فَلَمَّا رَأَتْهُ عِنْدَ مَوَلَاتِهَا
دَخَلَتْ خِزَانَتَهَا وَخَرَجَتْ وَقَامَتْ عَلَى رَأْسِ فَرِيدَةٍ ، وَعَلَى رَأْسِهَا
عِمَامَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا بِالذَّهَبِ :

مِنَ السَّمْعَانِيِّ لِأَنَّهُ أَقَامَ بِوَاسِطِ زَمَانًا طَوِيلًا ، يَتَوَلَّى الدِّيَوَانَ بِهَا . وَلَا تَعَارِضُ بَيْنَ
الْقَوْلَيْنِ فَإِنَّ الْخَرَابَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ مُضَافٌ إِلَى مَوَاضِعِ نَهْرِ الصَّلْحِ
وَنَوَاحِيهِ لَا إِلَى بَلَدَةِ الصَّلْحِ الرَّاكِبَةِ عَلَى النَّهْرِ وَعَلَى دَجَلَةٍ ، فَالسَّمْعَانِيُّ كَمَا جَاءَ فِي
« الصَّلْحِي » مِنْ أَنْسَابِهِ يَقُولُ : « الصَّلْحِي هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى فَمِ الصَّلْحِ وَهِيَ بَلَدَةٌ
عَلَى دَجَلَةٍ بِأَعْلَى وَاسِطٍ بَيْنَهُمَا خَمْسَةُ فَرَاسِخٍ أَقِمْتُ بِهَا سَاعَةً فِي انْصِرَافِي مِنْ وَاسِطٍ
وَالْبَصْرَةِ وَسَمِعْتُ بِهَا الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي السَّعَادَاتِ الْوَاسِطِيِّ . . . » فَالسَّمْعَانِيُّ كَانَ
قَدْ رَأَاهَا وَأَقَامَ بِهَا سَاعَةً . وَقَدْ زَالَتْ الْيَوْمَ وَعَفَا النَّهْرُ وَنَسِيتُ أَسْمَاؤَهُمَا .

(١) بُورَانَ وَتَسْمَى أَيْضًا « خَدِيجَةٌ » سَتَأْتِي تَرْجُمَتُهَا فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْكِتَابِ
وَقَدْ وَلَدَتْ سَنَةَ ١٩٢ وَتُوفِيَتْ سَنَةَ « ٢٧١ » وَأَخْبَارُهَا ، فِي تَارِيخِ الطَّبْرِ وَمَرْجِ
الذَّهَبِ وَأَخْبَارِ بَغْدَادِ لَابْنِ طَيْفُورٍ وَالدِّيَارَاتِ لِلشَّابِثِيِّ وَالْوَفِيَّاتِ لَابْنِ خَلِّكَانَ
وَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ وَأَنْسَابِ السَّمْعَانِيِّ فِي « الصَّلْحِي » مِنْهُ ، وَالْمُنْتَظَمِ لَابْنِ الْجَوْزِيِّ .
وَكِتَابِي سَيِّدَاتِ الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ « ص ٥٢ » .

عَيْنِي تَبْكِي حَذَرَ الْبَيْنِ مَا أَسْخَنَ الْفُرْقَةَ لِلْعَيْنِ !
 لَمْ أَرِ فِي الْحُبِّ وَلَوْعَانِهِ أَوْجَعَ مِنْ فُرْقَةِ الْفَيْنِ

(١٠)

فقال لي الواصل : فهمت يا عريب ؟ قلت : نعم يا سيدي . فكتب
 على الأرض بقضيب كان في يده :

ظَهَرَ الْهَوَى وَتَهْتَكُ أَسْتَارُهُ وَالْحُبُّ خَيْرُ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ
 فَاعْصِ الْعَوَازِلَ فِي هَوَاكَ مُجَاهِرًا فَأَلْذُ عَيْشِ الْمُسْتَهَامِ جِهَارُهُ

فحفظتُ الأبيات ، وتضاحكنا ، ففطنتُ فريدة^(١) ، فقالت :
 يا سيدي علمتُ ما أنتم فيه ، فأمِنُ على أمتك بقبولها . فقال الواصل :
 قد فعلتُ ، خذِها إليك يا عريب . فأخذتُ بيدها ، فما ملك نفسه أن
 انصرف من خلفي مُسرِعاً وخلا بها ، وأمر لي بألف دينار .

ذكر عبيد الله^(٢) بن أحمد بن أبي طاهر أن عريباً جارية المأمون

(١) أخبارها في الأغاني « ٤ : ١١٣ - ١١٩ » طبعة دار الكتب المصرية
 ولها أخبار متفرقة في الأجزاء الأخرى ، ولها ترجمة في كتابي سيدات البلاط العباسي
 « ص ٦٤ » ، ولها ذكر في كتاب الديارات للشابشي « ص ٨ ، ٩٩ » .

(٢) في الجزء الأول من معجم الأدباء « ١ : ١٥٢ » ترجمة والده أبي الفضل
 أحمد بن أبي طاهر طيفور مؤلف كتاب « تاريخ بغداد » في أخبار الخلفاء والأمراء
 وأيامهم ، وقد طبع قسم منه ، والظاهر أن ترجمة عبيد الله هذا فقدت فيما فقد
 من معجم الأدباء ، وقد ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات قال : « عبيد الله بن
 أحمد بن أبي طاهر طيفور أبو الحسين ، توفي سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة ، وكان
 أحق من أبيه ، ومن تصانيفه الذيل على تاريخ أبيه في أخبار بغداد ، كتاب
 السكباغ وفضائله ، كتاب المستظرفات والمستظرفين » . « نسخة دار الكتب الوطنية
 بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٩٧ » . وهذه الترجمة منقولة من كتاب الفهرست لابن =

توفيت في شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائتين . وذكر غيره أن

وفاتها كانت بسرٍّ مَنْ رأى عن ست وتسعين سنة . لأن مولدها في (١٠ ظ)
سنة إحدى وثمانين ومائة .

٧ - بدعة^(١) الكيرة جارية عريب

مولاة الإمام المأمون ؛ ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني أنها
كانت أحسن أهل دهرها وجهاً وغناءً ؛ وكانت تقول شعراً لينا
يُسْتَحْسَنُ مِنْ مِثْلِهَا . وذكر ثابت^(٢) بن سنان بن قرّة الطيب الصابي

= النديم « ص ٢١ » وفيه كتاب « المتطرفات والمتطرفين » بدلاً من تلك التسمية
وفي كتب التاريخ والأدب نقل كثير من كتب عبید الله هذا وكتب أبيه . والظاهر
أن المؤلف ابن الساعي نقل في ترجمة « عريب » من كتاب المتطرفين والمتطرفات ،
المقدم ذكره . وقال القفطي في الكلام على التاريخ : « وإذا أردت التاريخ متصلاً
جميلاً فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري - رضى - فإنه من أول العالم إلى سنة
تسع وثلاثمائة ، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبید الله
فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغاً في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم
بأت به الطبري بمفرده وهما في الانتهاء قريباً المدة ، والطبري أزيد منهما قليلاً » .
« أخبار الحكماء ص ٧٧ من طبعة مصر » .

(١) لها أخبار في تاريخ أبي جعفر الطبري « ٣ : ٢٢٩٣ » وصلته لعريب
« ص ٢٨ » ، ونشوار المحاضرة « ١ : ١٣٢ » و « ٨ : ٢٠ » ، والديارات « ص ٦٤ » ،
« ٩٩ » ، والمنتظم « ٦ : ١٢٩ » ، والكامل في وفيات سنة « ٣٠٢ » ، والأغاني « ١٩ :
١٢٥ طبعة ساسي » . وهي غير بدعة الصغرى « نشوار المحاضرة ١ : ٥٠ » .

(٢) أخبار الحكماء للقفطي « ٧٧ ، ٧٨ » وعيون الأنباء في طبقات الأطباء
لابن أبي أصيبعة « ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ وغيرهما » . والكامل في حوادث سنة ٣٦٥ =

في تاريخه : أن إسحق بن أيوب الغالي بذل فيها لعريب مولاتها مائة ألف دينار ، على يدى أبي الحسن على بن يحيى المنجم ، ولِسَفَارَتِهِ في ذلك عشرين ألف دينار ، فلما خاطب على بن يحيى عريب في ذلك (١١) دَعَتْ بِدُعَاةٍ وَعَرَفَتْهَا إِيَّاهُ وَسَأَلَتْهَا هَلْ تُحِبُّ وَتُخْتَارُ الْبَيْعَ ؟ فَعَرَفَتْهَا أَنَّهَا لَا تُخْتَارُهُ ، فَدَّتِ الْمَالَ وَأَعْتَقَتْهَا مِنْ وَقْتِهَا .

وَحَدَّثَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِي عَنْ عَرَفَةَ وَكَيْلِ بِدْعَةَ قَالَ :
لَمَّا قَدِمَ الْمُعْتَصِدُ مِنَ الشَّامِ وَمَعَهُ وَصِيفُ الْخَادِمِ^(١) دَخَلَتْ إِلَيْهِ بِدْعَةُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ جَلَسَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهَا : يَا بِدْعَةُ أَمَا تَرِينَ الشَّيْبَ كَيْفَ قَدْ

= ووفياتها . والنجوم الزاهرة « ٤ : ١١١ » ووفيات الأعيان في ترجمة ثابت بن قرة « ١ : ١٠٨ » وتاريخ مختصر الدول لابن العبري « ص ٢٧٥ ، ٢٩٦ » وشذرات الذهب « ٣ : ٤٤ » . قال القفطي وهو العالم الأديب : « عمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق ، الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب ، وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين إلى حين وفاته (كذا) في شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وعليه ذيل ابن أخته هلال بن الحسن بن إبراهيم ، ولولاهما لجهل شيء كثير من التاريخ في المدينتين » وذكر بعد ذلك كلاماً نقلناه في « ص ٦٣ في الحاشية » ثم قال بعد ذكره ذيل عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر طيفور : « ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فإنه يداخل الطبرى في بعض السنين ويبلغ إلى بعض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة » .

(١) قال السمعاني في الأنساب : « الخادم . . . هذه اللفظة اشتهر بها الحصيان الذين يكونون في دور الملوك وعلى أبوابهم ويختصون بخدمة الولد ، يقال لكل واحد منهم الخادم . . . » وقد اختصر ابن الأثير كلام السمعاني في لباب الأنساب . ووصيف هذا هو مملوك محمد بن أبي الساج أراد الاستقلال بالبلاد المتخمة لبلاد الروم كبرذعة وملطية سنة ٢٨٧ هـ . فسار إليه المعتضد وحاربه فأسره في السنة عينها . وهو غير وصيف التركي المشهور المقتول سنة « ٢٥٣ » . « راجع الكامل في حوادث السنين المذكورتين » .

اشتعل في لِحْيَتِي ورأسي ؟ فقالت له : يا سيدي عَمَّرَكَ اللهُ أبداً حتى ترى وَلَدَ وَلَدِكَ قد شابُوا ، فأنت في الشيب أحسن من القمر .

وفكرت طويلاً حتى قالت^(١) هذه الأبيات :

(١١) ما ضَرَّكَ الشيبُ شيئاً بل زِدْتَ فيه جمالاً
قد هذَّبْتَكَ الليالي وزدتَ فيها كمالاً
فِعِشْ لنا في سُرور وأنعمْ بِعِيشِكَ بالاً
تَزِيدُ في كُلِّ يَوْمٍ وليلاً إقبالاً
في نِعْمَةٍ وسُرور ودولة تتعالى

قال : فوصلها ذلك اليوم صِلَة سَنِيَّةٍ وَحَمَلٌ معها ثياباً كثيرة ، وطيباً كثيراً .

وَحَدَّثَ عَنْ عَرَفَةَ أَيْضاً قَالَ :

لما قدم المعتضدُ من حرب وَصِيفٍ وجاءَ بِهِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ بِدْعَةٌ فَقَالَتْ : يا سيدي شَيْبَتُكَ وَاللَّهِ هَذِهِ السَّفَرَةُ . فقال : دُونَ^(٢) ما كنتُ فِيهِ يُشِيبُ . فلما انصرفت قالت هذا الشعر وَغَنَّتْهُ :

(١٢) ظ

(١) ها هنا أقحم الناسخ خبراً من أخبار « عنان جارية الناطقي » وقد شعرنا بقلقه ومباينته للسياق فألحقناه بترجمتها ، ووصلنا بين طرفي خبر « بدعة » على النحو الذي تراه ها هنا وهو الأصل الصحيح .

(٢) دُونَ ها هنا اسم يتحمل الابتداء وهو بمعنى « أقل » فمغنى قوله هذا « أقل ما كنت فيه يُشِيب » فدون مبتدأ مرفوع وجملة « يشيب » خبره ، قال الزمخشري في أساس البلاغة : « وشيء دون : هين » . وقال ابن فارس في =

إِنْ تَكُنْ^(١) شَبْتُ يَا مَلِيكَ الْبَرَايَا لَأُمُورٍ عَانَيْتَهَا وَخُطُوبِ
 فَلَقَدْ زَادَكَ الْمَشِيبُ جَمَالًا وَالْمَشِيبُ الْبَادِي كَمَالُ الْأَدِيبِ
 فَابْقِ أَضْعَافَ مَا مَضَى لَكَ فِي عِزٍّ وَمُلْكٍ وَخَفْضِ عَيْشٍ وَطِيبِ
 فَطَرِبَ الْمُعْتَضِدُ وَوَصَلَهَا وَخَلَعَ عَلَيْهَا .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ الْمَرْزُبَانِي عَنْ الْمُظْفَرِ بْنِ يَحْيَى الشَّرَاجِيِّ عَنْ عَرَفَةَ
 صَاحِبِ بَدْعَةٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعَيْنُهَا رَمِدَةٌ وَهِيَ تَأْكُلُ بِإِذْنِهَا بُورَانِيًّا ،
 قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : أَتَأْكُلِينَ هَذَا وَعَيْنُكَ شَاكِيَةٌ ؟ قَالَتْ : وَإِذَا أَحَبَّ
 الْإِنْسَانُ مِنْ يُؤْذِيهِ يَتَرُكُهَا ؟

ذَكَرَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ بْنُ قُرَّةٍ فِي تَارِيخِهِ :
 أَنَّ بَدْعَةَ الْكَبِيرَةِ جَارِيَةً عَرِيبَ تُوْفِيَتْ لِسِتِّ بَقِيْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
 (١٣) سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو بَكْرُ بْنُ الْمَهْتَدِيِّ بِاللَّهِ

= الْمُقَايِيسُ : « وَيَقُولُونَ : أَمْرٌ دُونَ وَثُوبٍ دُونَ أَيِّ قَرِيبٍ الْقِيَمَةُ قَالَ الْقَتَبِيُّ : دَانَ
 يَدُونَ دُونًَا إِذَا ضَعُفَ وَأَدِينُ إِدَانَةٌ ، وَأَنْشَدُوا : « وَعَلَا الرَّبَّ رَبَّ أَزْمٌ لَمْ يَدَنَّ »
 أَيُّ لَمْ يَضْعُفْ ، وَهُوَ عِنْدَهُ مِنَ الشَّيْءِ الدُّونُ أَيُّ الْهَيْنِ ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا فَقِيَاسُهُ
 مَا ذَكَرْنَاهُ . وَشَوَاهِدُ « دُونَ » بِمَعْنَى « أَقَلُّ » كَمَا ذَكَرْنَا آنَفًا أَوْ « أَقَلُّ مِنْ » تَرَاهَا فِي
 الْإِمْتِنَاعِ وَالْمُؤَانَسَةِ « ١ : ٧ » وَفِي « هَضْمٍ » مِنْ أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ ، وَالْأَغَانِي « ٤ : ٣٤٣ »
 وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ١٢٠ ص ٢٥٠ . وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ « مُخْتَصَرُ ج ٧ ص ١١٦ »
 وَمِصَارِعُ الْعِشَاقِ « ص ٣٠٣ » وَالْمُنْتَظَمُ « ٨ : ٣٣ » وَشَاهِدُهُ هَذَا الْبَيْتُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَنِيًّا فَلَا تَكُنْ بِمَنْزِلَةِ إِلَّا رَضِيْتَ بِدُونِهَا

أَيُّ بِأَقْلٍ مِنْهَا . وَفِي « كَوْحٍ » مِنَ الصَّحَاحِ « قَالَ الرَّاجِزُ :

أَعَدَدْتَهُ لِلْخَصْمِ ذِي التَّعَدَّى كَوَّحْتَهُ مِنْكَ بِدُونَ الْجُهْدِ

أَيُّ بِأَقْلٍ الْجُهْدِ . وَلَهُ شَوَاهِدُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ يَضِيقُ بِبَسْطِهَا الْمَكَانُ .

(١) فِي الْأَصْلِ « إِنْ كُنْتَ » وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ لِأَنَّ الْبَحْرَ هُوَ الْخَفِيفُ .

٨ - بُورَان^(١) بنت الحسن بن سهل

وزير المأمون

ذكر أبو بكر محمد بن يحيى الصُّوْلِي أَنَّ اسمَهَا خديجة وتعرف ببوران .
ذكر أبو جعفر بن جرير الطبري أَنَّ المأمون تزوجَهَا في سنة اثنتين ومائتين
وبنى بها في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين بِفَمِ الصَّلَح ، فلما دخل
عليها نثرت عليها جَدَّتْهَا أَلْف دُرَّة كانت في صِينِيَّة ذهب . فأمر
المأمون أن تُجْمَع ، فُجِّمِعَتْ كما كانت في الطَّبَق ، ووضَعَهَا في حِجْر
بُورَان وقال : هَذِهِ نَحْلُكَ^(٢) واسألي حوائجك . فقالت لها جَدَّتْهَا :

كَلِمَى سِيدَى واسأليه حوائجك فقد أَمَرَكَ . فسأَلَتْهُ الرضا عن إبراهيم^(١٣ظ)
ابن المهدي ، فقال : قَدْ فَعَلْتُ . وسأَلَتْهُ الإِذْنَ لأم جعفر [زُبَيْدَة] في
الحج ، فَأَذِنَ لَهَا ، وَأَلْبَسَتْهَا أم جعفر البدنة^(٣) الأُمُوِيَّة . وابتنى بها

(١) تقدم ذكرها في سيرة عريب « ص ٦١ » وذكرنا هناك مضان ترجمتها .
(٢) قال الجوهري في الصحاح : « ونحلتُ المرأةَ مهرها عن طيب نفس
من غير طلبه أنحلها ، ويقال : من غير أن تأخذ عوضاً . يقال : أعطاهَا مهرها
نحلةً بالكسر . وقال أبو عمرو : هي التسمية وهي أن يقول : نحلتك كذا
وكذا . فيحد الصدق ويبينه » .

(٣) هذا قول أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد « ص ١١٥ » وقول
أبي جعفر الطبري بنصه ولم يذكر حقيقة البدنة ، والبدنة قميص لؤلؤ وجوهر وهي
مأخوذة من البدن وهي الدرع القصيرة .

وقد فصل أمر البدنة الشابشي في الديارات قال في عرس الرشيد وزبيدة :
« وأعطاهَا بدنة عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشام ولم يُرْفَى =

من ليلته . وأُوقِدَ في تلك الليلة شَمْعَةٌ عُنْبَرٌ فيها أربعون مناً في تَوَرَّ
 ذهب . وأقام المأمون عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً ، يُعِدُّ له
 الحسن في كل يوم ولجميع مَنْ معه ما يحتاجون إليه^(١) ، وخلع الحسن
 على القواد ، على مراتبهم ، وحملهم ووصلهم ، وكان مبلغ النفقة عليهم
 خمسين ألف ألف درهم . وأمر المأمون بعد انصرافه أن يُدفع إلى الحسن
 عشرة آلاف دينار^(٢) من مال فارس ، وأقطع الصِّلح ، فحُمِلَتْ إليه
 على المكان ، وكانت مُعَدَّة ، فجلس الحسن ففرَّقها في قواده وأصحابه
 (١٤) وحشمه وخدمه .

= الإسلام مثلها ومثل الحب الذي كان فيها . وكان في ظهرها وصدرها خيطان من
 ياقوت أحمر وباقيها من الدر الكبار الذي ليس مثله . « ص ١٠٠ » وقد ذكر
 هذه البدنة التجاني في تحفة العروس ومتعة النفوس نقلاً من تاريخ بغداد لأحمد بن
 أبي طاهر المذكور . نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٣٦٧ للورقة ٢٢ . وجاء ذكرها
 في كتاب « مطالع البدور في منازل السرور » . « ص ١٢٩ » وللبدنة الجواهر ذكر
 في المنتظم « ١ : ٢٧ » ومראה الزمان « مختصر ج ص ١٢٠ » ونهاية الأرب « ١٤ :
 ٤١ » . وكانت البدنة أيضاً ضرباً من ثياب الخلفاء بمصر « خريدة القصر ،
 القسم المصري ٢ : ٨٥ » وصباح الأعشى « ٣ : ٤٩٨ » .

(١) قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في الكامل : « وحدثني الحسن
 ابن رجاء قال : قدم علينا على بن جبلة إلى عسكر الحسن بن سهل ، والمأمون
 هناك بانيئاً على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران ، قال الحسن ونحن
 إذ ذاك نُجْرَى على نيف وسبعين ألف ملاح ، وكان الحسن بن سهل يسهر مع
 المأمون وكان المأمون يتصبح ، فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه . . . »
 « طبعة الدبلموني الأزهرى ١ : ٢١٦ » . والمراد الإشارة إلى كثرة الملاحين .

(٢) هكذا ورد ما في النسخة ، وفي أخبار بغداد المقدم ذكره « وأمر
 المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من
 مال فارس وأقطع الصِّلح » . يعنى من الدراهم ، وهذا هو المعقول المقبول .

وذكر أحمد بن الحسن بن سهل قال : كان أهلنا يتحدثون أن الحسن ابن سهل كتب رقاعاً فيها أسماء ضياعه ، ونثرها على القواد وعلى بني هاشم فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها .

وذكر أبو عبد الله الجَهْشِيَارِيُّ أنَّ عبد الواحد بن محمد حدثه عن علي بن سهل بن أبان مولى الحسن بن سهل قال^(١) : نثر الحسن يوم الإملاك بِنَادِقِ الْعَنْبَرِ ، فاستبرد الناس ذلك ، فأمر بكسرها واستخراج ما فيها ، ووكل بكلِّ مَنْ التقط رجلاً يوفيه ما في بُنْدَقَتِهِ ، فلما كسرت البنادقُ وُجِدَ فيها رِقَاعٌ ، فقبضَ كل من وجد رُقْعَةً ما فيها من عَقَارٍ أو غيره ، فقال إبراهيم بن العباس :

إِيهِنَّكَ أَصْهَارُهُ أَذِلَّتْ بِعِزِّهَا خُدُودُهُ^(٢) وَجَدَّ عَنْ الْأُنُوفِ الرَّوَاعِمَا
جَمَعَتْ بِهَا الشُّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَحُزَّتْ بِهَا لِلِكِسْرَوَى الْمَكَارِمَا
بُنُوكَ بِهَا آلُ انْبِيٍّ وَوَارِثُ^(٣) الْخِلَافَةِ وَالْحَاذُونَ كِسْرَى وَهَاشِمَا

(١) لم نجد هذا الخبر في المطبوع من كتاب « الوزراء والكتاب » للجَهْشِيَارِيِّ والمطبوع ناقص كما هو معلوم ، وكذلك القول في أخبار نقلت منه في معجم الأدباء « ٥ : ٤٥٦ » و « ٦ : ٨٨ » وفي معجم البلدان مادة « ماذرايا » وبدائع البدائه « ص ٢٧ ، ٨٣ » والتاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق « الورقة ٩٠ ، ١١٤ » . وسيأتى خبر آخر في « ص ٧٠ » .

(٢) في الأصل « جدود » ولا نراه مناسباً للمقام ، لأن الحدود المصعرة هي التي تُذَل .

(٣) في الأصل « وأورثوا » وهو غير موافق للمعنى المراد ، لأن الصولى أراد أن أحفاده المرجوئى الولادة من ابنته بوران والمأمون هم من أبناء آل النبي .

وروى الصولى عن عون بن محمد قال حدثنى عبد الله بن أبى سهل قال :
لما بنى المأمون على بُوران بنت الحسن بن سهل وانحدر إليهم إلى
ناحية واسط فرش يوم البناء حصير من ذهب مسفوف ونثر عليه جوهر
كثير فجعل بياض الدرّ يشرق على صفرة الذهب ، وما مسّه أحد ، فوجه
الحسن إلى المأمون « هذا نثارٌ ونحبُّ أن يُلقط » . فقال المأمون لمن
(١٥) حوله من بنات الخلفاء : « شرفن أباً محمد » . فمدّت كلُّ واحدة منهن
يدها فأخذت درّةً ، وبقي باقى الدرّ يلوح على الحصير الذهب . فقال
المأمون : قاتل الله أباً نواس ، لقد شبه بشيء ما رآه قطّ ، فأحسن فى
وصف الحمر والحباب الذى فوقها فقال :

كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
فكيف لو رآه مُعَايِنَةً ؟ وكان أبو نواس فى هذا الوقت قد مات .
وحدث أبو على الكوكبى قال : حدثنى أبو الفضل الرّبعى عن
أبيه قال :

لما تزوّج المأمون بوران ابنة الحسن بن سهل أراد أن يفتخها فلما
كاد حاضت فقالت : « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » (١) « نفهم المأمون
(١٥ ظ) قولها ، فوثب عنها .

ذكر الجهشيارى (٢) أن أباً عبد الله بن حمدون ذكر أن بوران

(١) سورة النحل ، الآية « ١ » .

(٢) لم نجد كذلك هذا الخبر فى المطبوع من كتاب الوزراء والكتاب

للجهشيارى المذكور وما أكثر المفقود منه !!

بنت الحسن قالت ترثي المأمون :

أَسْعِدَانِي عَلَى الْبُكَاءِ مُقْلَتِيًّا صِرْتُ بَعْدَ الْإِمَامِ لِلْهَمِّ فَيًّا
كُنْتُ أَسْطُو عَلَى الزَّمَانِ فَلَمَّا مَاتَ صَارَ الزَّمَانُ يَسْطُو عَلَيَّا

ذكر هلال بن المحسن الكاتب أنَّ بوران بنت الحسن بن سهل
وُلدت ليلة الإثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة .
وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أنَّ بوران توفيت يوم الثلاثاء
لثلاث بَيعين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقد
بلغت من السنِّ ثمانين سنة . قلت : وكانت وفاتها ببغداد لأنها كانت
تسكن بالقصر الحسنِي المنسوب إلى أبيها الحسن بن سهل ، وهذا القصر (١٦) ^(و)
كان أولاً يُسمَّى القصر الجعفرِي نسبة إلى جعفر بن يحيى بن خالد
البرمكي ، وهو أول بناء وضع في قديم الزمان بمدينة السلام^(١) . أخبرني

(١) لعل المؤلف أراد : أول بناء وضع في شرق بغداد الذي عرف بدار
الخلافة العباسية الأخيرة ، قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : « ذكر دار
الخلافة والقصر الحسنِي والتاج : حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال : كانت
دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر مُعَلَّى قديمًا للحسن بن سهل وتسمى
القصر الحسنِي ، فلما توفي صارت لبُوران بنته فاستترها المعتضد بالله عنها . . . »
« ١ : ٩٩ » وقال في - ص ٩٨ - : « . . . وأما شاطئ دجلة من الجانب
الشرقي فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت » . وورد قريب
من ذلك في مختصر مناقب بغداد « ص ١٥ » وجاء فيه « واستترها عنها المعتضد
وقيل المعتمد » والصحيح أنه المعتمد لأنها لم تعش إلى خلافة المعتضد وأولها سنة
« ٢٧٩ هـ » ولأن المعتمد هو الذي نقل قرار الخلافة من سامرا إلى بغداد .

أبو القاسم علي^(١) بن عبد الرحمن بن علي إذنا عن أبي محمد^(٢) عبد الله ابن الخشاب النحوي قال حدثنا أبو القاسم الربيعي أخبرنا أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي أخبرنا أبو علي الأزدي حدثنا أبو جزي^(٣) قال حدثنا أبو العيناء قال^(٤) :

كان جعفر بن يحيى البرمكي شديد الشغف بالإخوان ، كثير المحبة للقيان ، قد أعطى اللذات قياده ، وجعل مواسم القصف واللهو أعياده ،

(١) قال ابن الديبشي في تاريخه : « علي بن عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن علي بن الجوزي أبو القاسم بن شيخنا أبي الفرج بن أبي الحسن الواعظ سمع بإفادة أبيه في صباه وبنفسه من جماعة . . . وتكلم في الوعظ ثم تركه ، سمعنا منه . . . سمعت أبا القاسم بن الجوزي يقول : مولدى فى شوال سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . » نسخة كمبريج ٢٩٢٤ الورقة ١٤٤ « وتوفى سنة « ٦٣٠ » كما فى التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ، ج ١ ص ١٣٤ » وكما فى البداية والنهاية فى حوادث هذه السنة وكما فى الشذرات « ٥ : ١٣٧ » .

(٢) فى الأصل « عن محمد بن عبد الله بن الخشاب » وذلك خطأ ، وهو النحوي الأديب المشهور ، توفى سنة « ٥٦٧ » كما فى المنتظم وخريدة القصر للعماد الأصفهاني ومعجم الأدباء ومرآة الزمان والكامل وإنباه الرواة للقبطى والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ووفيات الأعيان وتاريخ أبي الفداء وتاريخ اليافعى وذيل طبقات الحنابلة والنجوم الزاهرة وبغية الوعاة والشذرات .

(٣) كذا ورد فى الأصل وفيه نقصان أو تصحيف .

(٤) ذكر ياقوت الحموى فى مادة « التاج » من معجم البلدان شبيهاً بهذا الخبر من غير إسناد ، وكان القصر الحسنى والتاج وقصور دار الخلافة الأخرى ومرافقها فى الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله فى بغداد الشرقية وقبل ذلك عرف بشارع النهر أى نهر دجلة ، ولم يبق أثر من كل ذلك ولا طلل لاستهداف تلك الأبنية للرطوبة والغرق ولكون أكثرها مبنياً بالآجر أى الطوب .

وكثر ذلك منه ، واشتهر عنه ، وتكلم الأعداء فيه بسببه ، فخلا به
 والده ، وأنكر عليه فعله وقال له : إذا لم تكن لك قدرة على الاستتار في (١٦) (ظ)
 لهوك وشربك ، والكتم لمجالس أنسك ولعبيك ، فاتخذ لنفسك قصرًا
 بالجانب الشرقي ، تجمع فيه ندماءك وقيانك ، وتقطع معهم زمانك ،
 وتبعد عن أعين العامة ، وتخفي أمورك على أكثر الخاصة ، ويقل القول
 فيك ، وينقطع الكلام عنك ، ويكون أصلح لشيائك عند سلطانك .
 فعمد جعفر إلى الجانب الشرقي واتخذ به قصرًا شيد بناءه ، وأوسع
 فناءه وفضاءه ، واتخذ فيه بستانًا ذا رياض مخصصة مريضة ، وغرس به
 من أنواع الشجر ما يُثمر بكل ثمرة بديعة ، وبالع في إتفاق الأموال ،
 وجمع الصُّنَّاع والرجال ، فلما قارب الفراغ من بنائه ، صار إليه ومعه (١٧) (و)
 أصحابه ، وفيهم مؤنس بن عمران ، وكان عاقلًا ليبيًا كاملاً ، فطاف به
 واستحسنه ، وقال من حضر من أصحابه في ذلك فأكثروا القول ،
 ومؤنس ساكت ، فقال له جعفر : مالك لا تتكلم ؟ قال : فيماذا ؟
 قال : فيما قال أصحابنا . قال : كفاني قولهم ولا زيادة فيه . وكان جعفر
 ذكيًا ، فعلم أن تحت قول مؤنس معنى ، فقال : وأنت أيضًا فقل .
 قال : هو ما قالوا . قال : أقسمت عليك لتقولن . فقال له : إذا أبيت
 إلا أن أقول فتصبر على الحق ؟ قال : نعم . قال : أريد خلوة . فلما
 خلا به قال : أطيل فيما أقول : أو أختصر ؟ قال : بل أختصر .
 قال أسألك إن خرجت الساعة فمررت بدار لبعض أصحابك تشبه دارك

(١٧ظ) هذه أو تُقَارِبُهَا مَا كُنْتَ صَانِعاً أَوْ قَائِلاً ؟ قَالَ : قَدْ فَهِمْتُ فَمَا الرَّأْيُ ؟
 قَالَ : هُوَ رَأْيٌ إِنْ أَخَّرْتَهُ عَنْ سَاعَتِكَ هَذِهِ فَات . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :
 لَسْتُ أَشُكُّ فِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ طَلَبَكَ وَسَأَلَ عَنْ خَبْرِكَ فَخَبِّرْ أَنَّكَ
 قَدْ رَكَبْتَ إِلَى قَصْرِكَ فَضَجَرَ مِنْ تَأَخُّرِكَ ، فَأَطْلُ اللَّبْثَ هَاهُنَا ثُمَّ امْضِ
 إِلَيْهِ مِنْ فَوْرِكَ ، وَعَلَيْكَ أَثَرُ الْغُبَارِ ، فَإِذَا سَأَلَكَ عَنْ حَالِكَ فَقُلْ :
 صِرْتُ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي بَنَيْتُهُ لِلْمَأْمُونِ . ثُمَّ أَتْبِعْ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ بِمَا
 أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ . قَالَ : وَكَانَ جَعْفَرٌ قَدْ اتَّخَذَ فِي هَذَا الْقَصْرِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ
 مَرَقِيقاً مَا بَيْنَ مَجْلِسٍ وَمُسْتَشْرِفٍ وَحُجْرَةٍ وَخَيْشٍ وَخِزَانَةٍ ، وَكَتَبَ إِلَى
 كُلِّ نَاحِيَةٍ بِأَنْ يَتَّخِذَ لِكُلِّ مَقْصُورَةٍ فَرَشٍ عَلَى مَقَادِيرِ أُنْبِيَّتِهَا . وَكَانَ
 (١٨د) الْقَوْلُ قَدْ كَثُرَ جَدًّا فِي ذَلِكَ الْبِنَاءِ وَمَا كُتِبَ فِي اسْتِعْمَالِهِ مِنَ الْفَرَشِ لَهُ ،
 فَأَقَامَ جَعْفَرٌ فِي الْقَصْرِ هُنَيْئاً ثُمَّ مَضَى مِنْ فَوْرِهِ فَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَسَأَلَهُ
 عَنْ خَبْرِهِ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَ ؟ قَالَ : كُنْتُ فِي الْقَصْرِ الَّذِي اتَّخَذْتَهُ لِمَوْلَايَ
 الْمَأْمُونِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ عَلَى دَجَلَةٍ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَوَّ لِلْمَأْمُونِ بِنَيْتِهِ ؟
 فَقَالَ : نَعَمْ فَإِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي لَيْلَةٍ وَلَادَتْهُ شَرَفَتْنِي بِأَنْ جَعَلْتَهُ فِي
 حِجْرِي قَبْلَ جَعْلِهِ فِي حِجْرِكَ وَاسْتخدمْتَنِي لَهُ وَعَرَفْتُ مُحَلَّهُ مِنْ قَلْبِكَ
 فَدَعَانِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ اتَّخَذْتُ لَهُ هَذَا الْقَصْرَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فِي مَوْضِعٍ
 مُعْتَدِلٍ الْهَوَاءِ ، طَيِّبِ الثَّرَاءِ ، مَا بَيْنَ رِيَاضٍ زَاهِرَةٍ ، وَمِيَاهٍ جَارِيَةٍ ، بَعِيداً
 مِنْ أَصْوَاتِ النَّاسِ وَالِدَّخَاخِينَ الْمُؤْذِيَةِ ، وَالرَّوَاحِ الْمُنْتِنَةِ ، لِيُسْكِنَهُ
 (١٨ط) حَوَاضِنَهُ وَدَايَاتِهِ ، وَجَوَارِيَهُ وَقَهْرَمَانَاتِهِ ، فَيَصْحَحُ بِذَلِكَ مِزَاجَهُ ، وَيَتِمُّ

نشوؤه ، ويصفو ذهنه ، ويدكو قلبه ، وينمو لبه ، ويضيء فهمه ،
ويحسن لونه ، ويزيد جسمه ، ومع ذلك فإنني قد كتبت إلى النواحي
جميعاً في اتخاذ فرشٍ لهذا البناء على مقاديره ، وبقي شيء لم يتهياً اتخاذه
إلى الآن ، وقد عوّلنا على خزائن أمير المؤمنين ، إمّا عاريةً أو هبة .
قال : بل هبة . وأسفّر إليه ، وأقبل وجهه عليه ، وقال : أبا [الله]
أن يُقال عنك إلا ما هو لك ، وأن يُطعن فيك ، إلا بما يرفعك
ويُعليك ، والله لا سَكَنه أحد سِوَاكَ ولا تُمَمَّ ما يُعَوِّزُه من المفارش
إلا من خزائنا وزال من نفس الرشيد بتلك الفعلة ما كان حَمَل عليه
من السعيات ، وظفر بالقصر وانقطعت الأقاويل عنه ، ولم يزل جعفر
يتردد إليه في كلِّ أوقات أفراحه ؛ وتنزهه ومراحه ، إلى حين (١٩)
واقعتهم ، وانقضاء دولتهم ، وإلى حينئذٍ كان يسمى القصر الجعفرى .

ذكر انتقال هذا القصر وكيف صار إلى المأمون

وما أضاف إليه من الأبنية

ذكر بعضهم أنَّ هذا القصر صار إلى المأمون ، وكان من أكمل
القصور وأبهاها ، وأحب المواضع إليه وأشهاها ، لإطلاله على دجلة وكماه
في النظر ، واشتماله بالروض والشجر ، واكتسائه بالنور المشرق النائر ،
والزهر المونق الزاهر ؛ فنزل بساحته ، وحلَّ به حُبِّ راحته ، وجرَّ على
رياضه ذيو له ، وطارَد في ميدان سروره خيوله ، ملتذّاً بسُكناه ، معتدّاً

بِهَوَاهُ ، وَصَارَ مَنْزِلَ صَيْدِهِ وَقَنْصِهِ ، وَحَلَّ نَزْهَهُ وَفُرْصِهِ ، وَاقْتَطَعَ جُمْلَةَ
 (١٩ ظ) مِنَ الْبَرِّيَّةِ ، فَعُمِدَتْ مِيدَانًا لِرِكَضِ الْغِلْمَانِ ، وَاللَّعِبِ بِالْكُرَةِ وَالصُّوْلَجَانِ ،
 وَحَيْرًا^(١) لَجْمِ الْوَحُوشِ فِي أَوْقَاتِ تَصِيدِهِ ، وَفَتَحَ لَهُ بَابًا شَرْقِيًّا إِلَى جَانِبِ
 الْبَرِّ ، وَاتَّخَذَ عَلَى أَعْلَاهُ مَنَظَرَةً تَشْرَفُ عَلَى مَرَامٍ وَاسِعَةٍ لِمَنْ عَسَاهُ يَصِلُ
 مِنْ طَرِيقِ خُرَاسَانَ^(٢) ، وَنَوَاحِي هَذَا وَآذَرِيَّجَانَ . وَأَجْرَى عَلَى ذَلِكَ
 الْبَابِ نَهْرًا سَاقَهُ مِنْ نَهْرِ الْمَعْلَى ، وَابْتَنَى عَلَيْهِ وَقَرِيبًا مِنْهُ مَنَازِلَ بِرَسْمِ خَاصَّتِهِ
 وَأَصْحَابِهِ وَحَاشِيَتِهِ سُمِّيَتْ الْمَأْمُونِيَّةَ^(٣) وَهِيَ الْآنَ مَحَلَّةُ الشَّارِعِ^(٤) الْأَعْظَمِ
 فِيهَا بَيْنَ عَقْدَى الْمُصْطَنَعِ^(٥) وَالزَّرَادِينَ^(٦) .

-
- (١) الْحَيْرُ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ هُوَ مَا يُسَمَّى الْيَوْمَ « حَدِيقَةُ الْحَيَوَانَاتِ » .
 (٢) طَرِيقُ خُرَاسَانَ فِي جُغْرَافِيَةِ الْعِرَاقِ الْقَدِيمَةِ ، هِيَ الْكُورَةُ الشَّرْقِيَّةُ مِنْ
 وَسْطِ الْعِرَاقِ وَمِنْهَا حُلْوَانُ وَبَعْقُوبَا وَالْبَنْدُبَنْجِينَ وَخَانَقِينَ وَقَصْرَ شِيرِينَ وَقَصْرَ قِضَاعَةَ
 وَدِسْكَرَةَ الْمَلِكِ وَشَهْرَابَانَ ، وَبُوْهَرَزَ وَبِرَازَ الرُّوزَ وَغَيْرَهَا ، وَتُسَمَّى الْيَوْمَ « لِيَاءُ دِيَالِي »
 وَلَمْ يَبْقَ مِنَ التَّسْمِيَةِ إِلَّا نَهْرُ خَرِيسَانَ وَهُوَ نَهْرُ بَعْقُوبَا الْمَعْرُوفُ قَدِيمًا بِنَهْرِ جُلُولَا .
 (٣) قَالَ يَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « الْمَأْمُونِيَّةُ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْمَأْمُونِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدْ ذَكَرْتُ سَبَبَ اسْتِحْدَاثِ هَذِهِ الْمَحَلَّةِ فِي (التَّاجِ)
 وَالْقَصْرِ الْحَسَنِيِّ ، وَهِيَ مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ بِيغْدَادَ بَيْنَ نَهْرِ الْمَعْلَى وَبَابِ الْأَزْجِ
 عَامِرَةٌ أَهْلَةٌ » . قُلْتُ الْمَأْمُونِيَّةُ كَانَتْ فِي أَرْضِ الْمَحَلَّاتِ : الدَّهَانَةُ وَالْهَيْتَاوِينَ وَعَقْدُ
 الْقَشَلِ وَالسَّرِيدَانِ وَصَبَابِيْعِ الْآلِ الْحَالِيَةِ مِنْ بَغْدَادِ الشَّرْقِيَّةِ الْحَالِيَةِ .
 (٤) هُوَ الشَّارِعُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَطْرُقُ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ وَيَعْرِفُ الْيَوْمَ بِعَقْدِ الْقَشَلِ .
 (٥) عَقْدُ الْمُصْطَنَعِ ذَكَرَهُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى « قِرَاحِ » مِنْ مَعْجَمِ
 الْبُلْدَانِ قَالَ : « . . . وَذَلِكَ أَنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ رَحْبَةِ جَامِعِ الْقَصْرِ مَشْرِقًا حَتَّى
 تَتَجَاوَزَ عَقْدَ الْمُصْطَنَعِ وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ فَهَنَّاكَ طَرِيقَانِ أَحَدُهُمَا
 يَأْخُذُ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَأْمُونِيَّةِ وَبَابِ الْأَزْجِ وَالْآخَرُ يَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ . . . » =

ذكر انتقال هذا القصر إلى الحسن بن سهل
واشتهاره به وما زاد فيه من الأبنية

كان المأمون بخراسان مع والده ، فلما توفي والده هناك بويع المأمون (٢٠٠) بخراسان وبويع أخوه الأمين ببغداد . وجرت الفتن العظيمة إلى أن قُتل الأمين — رحمة الله عليه — .

فلما وصل البريد بنحبر قتله إلى المأمون أرسل الحسن بن سهل خليفة له على العراق ، لتدبير الأمور بها ، فورها بعد انقضاء فتنة الأمين في سنة ثمان وتسعين ومائة ونزل القصر المأموني المذكور ، وتزوج المأمون

= والمصطنع الذي أضيف إليه العقد هو أبو نصر منصور بن طاس الديلمي ثم البغدادى الحاجب ، استحجبه الخليفة القادر بالله ولقبه المصطنع فى ذى الحجة سنة « ٤١٠ » وخلع عليه السيف والمنطقة والسوار . وكان من أرباب المروآت الظاهرة ، جميل المنظر ، حسن المحضر ، محباً لقضاء الحوائج ، بقى فى الحجابة إلى عهد الخليفة القائم بأمر الله ، وكان قد عمر داراً عند العقد المذكور ، وتوفى فى جمادى الآخرة سنة « ٤٣٤ » . « تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى ج ٥ الترجمة ٤ و ١١ » . ويعرف موضع العقد اليوم بقاضى الحاجات ، فلعل قضاءه للحاجات أبقى له هذا الاسم الكريم .

(٦) فى الأصل « الرزازين » جمع الرزاز بائع الأرز وهو تصحيف « الزرادين » أى باعة الزرديات لنوع من الدروع أو الزرد وهو الدرع المزروعة يتداخل بعضها فى بعض ، والتصحیح من معجم البلدان ، والمنتظم « ١٠ : ٢٢٩ » وكتاب الحوادث الذى سميناه الحوادث الجامعة « ص ٢٠٥ » ومنتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار لتقى الدين الفاسى « ص ٢٠٩ » . واشتهرت مقبرة الزرادين فى التاريخ وهى اليوم محلة سراج الدين بشرقى بغداد

بُورَان بنت الحسن بن سهل عمرو بولاية عمِّها الفضل بن سهل . فلما قدم
المأمون من خراسان في يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر من سنة
أربع ومائتين دخل إلى قصر الخلافة بأُخْلَد بالجانب الغربي فسكنه ، وبقى
(٢٠) الحسن بن سهل مقيماً بالقصر المأموني إلى أن عُمل عرس بُورَان بفهم الصِّلح
ونُقلت إلى بغداد وأُنزلت بالقصر ، وطلبه الحسن من المأمون فكتبه
له ، ومُذ ذلك الوقت أضاف إليه ما حوله ، وغلب اسم الحسن عليه ،
وعُرف به ونسب إليه . ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد قال
حدثني بعض مشايخنا قال : لما بنى الحسن بن سهل قصره هذا جعل بين
سوره وبين شط^(١) دجلة فضاءً كثيراً ، فقليل له : لو جعلته راكباً على
دجلة كان أحسن . فقال ما أنا والنزهة والإشراف إلى دجلة ؟ إنما
يفعل هذا أهل الفراغ والبطالة ونحن عن النزهة في شغل . ثم ابتاع
الموفق بالله هذا القصر ونزله ثم هدمه المعتضد بن الموفق وبناه وزاد فيه
(٢١) ومدّه إلى حدّ نهر بين ، ونزله المكتفى .

(٢) في الأصل « وسط » وهو من تحريف النساخ ونظن أن الأصل « بين »
سوره وشط دجلة « فزاد الناسخ « بين » وصارت « وشط » بذلك وسطاً .

مُؤَنَسَةُ^(١) المأمونية

جارية رومية ، كانت حَظِيَّة عند المأمون ، مقربة إليه وكانت
تعتنى بأحمد^(٢) بن يوسف وزير المأمون ، وكان هو يقومُ بخدمتها
وحوائجها ، فأدلت على المأمون في بعض الأمور فأنكر عليها وصارَ
إلى الشَّامِسيَّة^(٣) ولم يحملها معه ، فاستحضرت نُصْرَةَ خادم أحمد بن

(١) أخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر « ص ١٢٩ ، ١٣٠ » والأوراق
للصولي « ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ » والأغاني « ٧ : ٣٤ ، ٢٠ : ٥٧ طبعة ساسي » .

(٢) سيرته في كتاب الأوراق للصولي « ١ : ٢٠٦ - ٢٣٦ » ومعجم الأدباء
« ٢ : ١٦٠ - ١٧١ » وأخبار بغداد « ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ » وتاريخ بغداد للخطيب « ٥١ : ٢١٦ -
٢١٨ » والبيان والتبيين « ١ : ٦٥ ، ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٢٥٠ » . والتاريخ الفخرى
لصفي الدين بن الطقطقي « ص ١٦٩ من طبعة مصر » والأغاني « ٣ : ١٥٩ ،
٩ : ٥٨ ، ١٢ : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣ : ٣٠ ، ١٤ : ٤٣ ، ١١٦ ، ٢٠ : ٥٦ ،
٥٨ ، ١١٤ ، ١١٥ » . والوزراء والكتاب للجهمشياري « ٢٤٩ » وديوان المعاني
لأبي هلال العسكري « ١ : ٩٥ » . وتلخيص معجم الألقاب في ترجمة « قطب الدين
عبد الله بن الحسن الوكيل » . والديارات « ص ٢٩ » وهو غير أحمد بن يوسف
المعروف بابن الداية .

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان « الشامسية : بفتح أوله وتشديد ثانيه
ثم سين مهملة منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم في أعلى
مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشامسية ، وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين
أحمد بن بويه وفرغ منها سنة (٣٥٠) وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف ألف
درهم ، ومسناها باق أثرها ، وباقي المحلة كله صحراء موحشة يتخطف فيها اللصوص
ثياب الناس وهي أعلى من الرصافة ومحلة أبي حنيفة » . قلت : محلة الرصافة تسمى
اليوم هيبة خاتون والنصة والسفينة . ومحلة أبي حنيفة هي مركز الأعظمية الحالية ،
ودار الروم والشامسية هما اليوم محلة الصليخ شمالي الأعظمية .

يوسف وحملتَه رسالة إلى مولاه بِخَبَرِها ، وسأَلته التَلَطُّفُ في إِصلاح
نِية المأمُون لها . فلما عَرَفَه الخادم ذلك دعا بدَوَابِهِ وقصد الشَّهاسِيَّة
فاستأذن على المأمُون ، فلما وصل إليه قال : أنا رسول قال : فأذن لي في
(٢١٦) تأدية الرسالة . فأنشدته هذه الأبيات وهي :

قد كان عَتَبُكَ مرَّةً مكتوما فاليومَ أَصْبَحَ ظاهراً معلوما
نال الأعداى سُوْلَهُمْ لا هُنُّوا لَمَّا رأونا ظاعِناً ومُقيماً
هَبْنِي أسأتُ فَعَادَةً لَكَ أَنْ تُرى متجاوزاً متفضِّلاً مظلوما

قال : قد فهمتُ الرسالةَ فكُن الرسول بالرضا . ووجَّهَ بِياسِرِ
الخادم فحملها .

قُرَّةُ العَيْنِ مولاةُ الْمُعْتَصِمِ

جارية مولدة ، كانت حَظِيَّةً عند الإمام المعتصم بالله - رضى الله عنه -
وروى عنها القاضي أبو بكر أحمد^(١) بن كامل بن خلف بن شجرة ،

(١) ولد القاضي أبو بكر هذا ببغداد سنة « ٢٦٠ هـ » وسمع الحديث وقرأ
الفقه وكان جريرى المذهب أغنى من أصحاب ابن جرير الطبرى كالمعافى بن
زكريا النهروانى وقيل خالفه واختار لنفسه مذهباً ، وكان عالماً بالأحكام وعلوم
القرآن والنحو والشعر وأيام الناس وتواريخ أصحاب الحديث والسير ، وأملى كتاباً
فى السير وروى تاريخ الطبرى عن مؤلفه ، وله مصنفات فى أكثر تلك الفنون الإسلامية
ومنها كتاب التاريخ . وتولى القضاء بالكوفة ، روى عن الدارقطنى وغيره ونقل من
كتبه المؤرخون كالخطيب وغيره ، وكان يعتمد على ذاكرته أحياناً فى التحديث
توفى سنة « ٣٥٠ » ، تاريخ بغداد للخطيب « ٤ : ٣٥٧ » وفهرست ابن النديم
« ص ٤٨ » ومعجم الأدباء ، « ص ١٦ - ١٩ » والكامل فى حوادث سنة « ٣٥٠ » =

وكانت أدبية . أنبأنا أبو محمد الجنابذي^(١) عن أبي بكر الحنصلي قال
أخبرنا أبو غالب الكرخي إذنا عن عبيد الله بن أحمد الأزهرى قال
حدثنا إبراهيم بن مخلد قال حدثنا أحمد بن كامل قال أنشدتنا قرّة
العين المعتصمية :

(٢٢)

أُنْظِرْ إِلَى بَيْنِ الصَّفْحِ عَنْ زَالِي لَا تَتْرُكْنِي مِنْ أَمْرِي عَلَى وَجَلِ
رُوحِي وَرُوحُكَ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَكَيْفَ أَهْجُرُ مَنْ فِي هَجْرِهِ أَجَلِي؟

فَرِيدَةُ^(٢) الْأَمِينِيَّةِ

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى^(٣) هي فريدة (بالياء) وهما
جارتان مغنيتان كبيرى وصغرى فأما الكبرى فهذه وكانت جارية

=ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني « ١ : ٢٤٩ » وبغية الوعاة « ص ١٥٣ » ،
والشذرات « ٣ : ٢ » ونقل من تاريخه فى النجوم الزاهرة « ٣ : ٢٨٨ طبعة دار
الكتب المصرية » ولم يعلق عليه أحد بكلمة تعرفه . وابنته أمة السلام كانت محدثة
« تاريخ بغداد ١٤ : ٤٤٣ » .

(١) منسوب إلى « جنابذ » قال ياقوت فى معجم البلدان : « جنابذ بالضم
وبعد الألف باء موحدة مكسورة وذال معجمة ناحية من نواحى نيسابور . . . »
وأبو محمد هذا هو عبد العزيز بن محمود بن المبارك المعروف بابن الأخضر ، ولد
سنة ٥٢٤ ببغداد وتوفى بها سنة « ٦١١ » وكان محدثاً كبيراً ومؤلفاً شهيراً ، سمع
منه ياقوت الحموى وابن النجار وابن الديبى وغيرهم من المؤرخين ومن سواهم . ذكره
ياقوت فى « جنابذ » من معجم البلدان ، وله ترجمة فى تاريخ ابن الديبى والتكملة
للمندرى والتكامل وذيل الروضتين وتذكرة الحفاظ للذهبي وتاريخ الإسلام له وذيل
طبقات الحنابلة والنجوم الزاهرة والشذرات وغيرها .

(٢) الأغانى « ٣ : ١٠٢ ، ١١٣ » .

(٣) الظاهر أن المؤلف أخذ هذا القول مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني فى .

مولدة، نشأت بالحجاز ثم وقعت إلى الربيع بن يونس حاجب الرشيد فتعلمت الفناء في داره ثم صارت إلى البرامكة، فلما قُتل جعفر بن يحيى البرمكي ونُكِبَ البرامكة هربت فريدة المذكورة فلم يُعلم خبرها، وطلبها الرشيد فلم يجدها ثم صارت إلى الأمين بعد موت الرشيد، فكانت عنده إلى أن قُتل في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، ثم خرجت فتزوجها الهيثم بن بسّام^(١)، فولدت له ابنه عبد الله ثم مات عنها فتزوجها السّندی^(٢) بن الحرشي فماتت عنده.

إسحق^(٣) الأندلسية

جارية مولدة، كانت للمتوكل، حظية عنده، فولدت له المؤيد إبراهيم والموفق أبا أحمد، قال عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر: في سنة سبعين ومائتين ماتت إسحاق أم الموفق بمدينة السلام، لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ودفنت بالرصافة، فقال أبو أحمد يحيى^(٤) بن علي بن يحيى المنجّم يُعزّي الموفق بأُمّه:

= أخبار أبي العتاهية « ٤ : ١٠٢ » فإنه ذكر أبياتاً لأبي العتاهية تغني، وقال: « وفيه - يعني الشعر - لحن لفريدة، رَمَل. هكذا قال الصولي فريدة بالياء، وغيره يقول فرندة بالنون ».

(١) في نسخ من الأغاني « سلم » وفي نسختين أخريين « مسلم ».

(٢) الطبري « ٣ : ٦٨٠ ، ٧٣٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ».

(٣) ذكرها الطبري في حادثة قتل ابنها إبراهيم المؤيد في السجن سنة « ٢٥٢ ».

(٤) هو الأديب الشاعر المشهور ولد سنة « ٢٤١ » وتوفي سنة « ٣٠٠ » =

عَزَاءٌ فَإِنَّ الدَّهْرَ يُعْطَى وَيَسْتَلْبُ وَصَبْرًا فَلِلدُّنْيَا صُرُوفٌ تَقْلَبُ

وَمَا جَارِعَ إِلَّا كَأَخْرَ صَابِرٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبُ (٢٣)

عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْقَلْبُ لَوْعَةَ الْفِرَاقِ كَمَا لَا تَمْلِكُ الْعَيْنُ تَسْكُبُ

إِذَا كَانَ سَهْمُ الْمَوْتِ لَا بُدَّ صَائِبًا فَلِلصَّبْرِ أُولَى بِالْكَرِيمِ وَأَصُوبُ

لَقَدْ جَدَّتْ الدُّنْيَا بِنَفْيِ بَقَائِهَا إِلَيْنَا وَلَكِنَّا نَغْرُ وَنَلْعَبُ

وَتُخْرِبُ دَارًا لِلْعِمَارَةِ خَلْفَهَا (١) وَتَعْمُرُ دَارًا سَوْفَ لَا بُدَّ تَخْرِبُ

فَلَا يَقْدَحُنْ فِي عُظْمِ صَبْرِكَ عُظْمُ مَا رُزِئْتَ فَصَدَعَ الْحَزْنَ بِالصَّبْرِ يُشْعَبُ

فَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ مَعْقُورُ نَكْبَةٍ قَدْ انْصَرَمَتْ أَوْ سَالِمٌ سَوْفَ يُنْكَبُ

فَلَا زَالَ قَصْرٌ بِالرِّصَافَةِ عَامِرًا يُسْقَى بِهِ ذَيْلُ السَّحَابَةِ يُسْحَبُ

وُحْصٌ بِتَقْدِيسٍ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٍ يُغَادِيهِ مِنْهُ مِثْلُ مَا يَتَأَوَّبُ

فَإِنَّ بِهِ تَقْوَى وَفَضْلًا مُبَرِّزًا وَإِخْلَاصَ صَدَقِ زَاهِنٍ التَّهْدُبُ (٢٣ ظ)

لَقَدْ أَظْلَمَتْ بَغْدَادُ عِنْدَ وَفَاتِهَا كَاظِلَامِهَا لِلشَّمْسِ سَاعَةَ تَغْرُبُ

فَوَلَّتْ وَوَلَّى الْحَمْدُ يَتْبَعُ نَعَشَهَا وَيَصْدُقُ مِنْ يُثْنِي عَلَيْهَا وَيَنْدُبُ

= « معجم الشعراء للمرزباني ٤٦١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٦ » وتاريخ بغداد للخطيب « ١٤ : ٢٣٠ » والأنساب في « المنجم » ومروج الذهب للمسعودي ومعجم الأدباء « مختصر الجزء السابع ص ٢٨٧ » والوفيات « ٢ : ٣٧٨ » والأغاني « ٨ : ٢٦ ، ٩ : ٣٤ ، ١٨ : ١٧٦ » وعيون الأنباء « ١ : ٢١٧ » . وله كتاب الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ، ابتداء فيه ببشار بن برد ، وآخر من أثبت فيه مروان بن أبي حفصة ولم يتممه فآتمه ابنه أبو الحسن أحمد ابن يحيى ، وله أيضاً كتاب النغم وقد طبعه المجمع العلمي العراقي .

(١) هذا ما ورد في الأصل ويتسق المعنى بأن جعل الدنيا سائرة غير لابثة فتكون الدار التي أخربتها خلفها لأن لكل سائر خلفاً .

وما مات من أبقى الأميرَ ومن له من الفضل ما يُعزى إليها وينسب
تقدّمها إياك بعد بلوغها — منى فيك ما كانت من الله تطلب
فقد أعطيت في ذا وذلك سؤلها وباتت كما بات الحيا المتحلب
فأحسن عزاءً وابقَ فينا مُسلماً مُفدًى من الأسواء تُرجى وترهب
فإن الرزايا ما تخطأك سهمها ليسهل مأتاها وإن كان يصعب

فضّل^(١) الشاعرة اليماميّة

(١٢٤) جارية الإمام المتوكل على الله — رحمة الله عليه — . كانت جارية
شاعرة ماجنة ، من أظرف أهل زمانها ، ولها أخبار ملاح مدوّنة .
أنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيق عن أبي القاسم بن السمرقندي قال
أخبرنا أبو منصور العكبري أخبرنا أبو الحسن بن الصلت قال أخبرنا
أبو الفرج الأصبهاني قال : كانت فضّل مولدة من مولات البصرة وبها
نشأت ، وكان مولدها اليمامة^(٢) .

(١) أخبارها وأشعارها في الأغاني « ج ١٧ ص ٤ - ٨ » و « ج ٢١ ص ١١٤ - ١٢٠ » طبعة ساسي ولما ذكر في « ٩ : ١٠٥ ، ١٩ : ١٣٢ » منه .
وأما القالي « الذيل ص ٨٦ » . وطبقات الشعراء لابن المعتز « ص ٤٢٦ » طبعة
دار المعارف بمصر ، والمنتظم لابن الجوزي « ٥ : ٧٠٦ » وفوات الوفيات « ٢ : ٣٤٨ »
طبعة مطبعة السعادة . والمحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ « ص ١٥٢ » .
وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٦٠ طبعة الهند « وبدائع البداء » ص ٢٩ . ٦٠ .
وسيدات البلاط العباسي « ص ٨٢ » .

(٢) هكذا ورد النص وهو جائز على جعل « مولدها » خبراً لكان مقدماً ،
و « اليمامة » اسمها المؤخر .

وذكرها محمد^(١) بن داود فذكر أنها عَبْدِيَّةٌ ، وكذلك كانت تزعم هي ،
وتقول : إِنَّ أُمَّهَا عَلِقَتْ بِهَا مِنْ مَوْلَى لَهَا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَإِنَّهُ مَاتَ وَهِيَ
حَامِلٌ بِهَا ، فَبَاعَهَا ابْنُهُ ، فَوُلِدَتْ عَلَى سَبِيلِ الرِّقِّ . وَذُكِرَ عَنْهَا مِنْ
جِهَةِ أُخْرَى أَنَّ أُمَّهَا وَلَدَتْهَا فِي حَيَاةِ أَبِيهَا ، فَرَبَّاهَا وَأَدَّبَهَا ، فَلَمَّا تُوُفِيَ
تَوَاطَأَ بَنُوهُ عَلَى بَيْعِهَا فَاشْتَرَاهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الرَّخَّجِيُّ^(٢) أَخُو عُمَرَ بْنِ (٢٤ ظ)
الْفَرَجِ فَأَهْدَاهَا إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَتْ سَمَاءً أَدِيبَةً فَصِيحَةً ، سَرِيعَةً
الْهَاجِسِ ، مَطْبُوعَةً فِي قَوْلِ الشَّعْرِ ، مُتَقَدِّمَةً لِسَائِرِ نِسَاءِ زَمَانِهَا فِيهِ .

وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال أخبرني محمد بن خلف حدثنا
أحمد بن أبي طاهر قال : جُلِبَتْ فَضْلُ الشَّاعِرَةِ مِنْ الْبَصْرَةِ فَاشْتَرَاهَا
رَجُلٌ مِنَ النَّخَّاسِينَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، فَابْتَاعَهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الرَّخَّجِيُّ^٣
فَأَهْدَاهَا إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَكَانَتْ تَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ عَلَى كُرْسَى تَعَارِضُ

(١) يَعْنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ الْأَدِيبَ الْوَزِيرَ الشَّهِيرَ مُؤَلِّفَ كِتَابِ
«الْوَرَقَةِ» فِي سِيرِ الشُّعَرَاءِ الْمُحَدَّثِينَ وَغَيْرِهِ ، وَسَيُشِيرُ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ فِي آخِرِ التَّرْجُمَةِ ،
وَالْمَطْبُوعِ مِنْهُ بِعُنَايَةِ دَارِ الْمَعَارِفِ وَتَحْقِيقِ الْأَسْتَازِينَ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَزَامٍ
وَعَبْدِ السَّاتَرِ فَرَّاجٍ خَالَ مِنْ تَرْجُمَةِ « فَضْلٍ » فَالنَّسْخَةُ نَاقِصَةٌ ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُمَا
فِي « ص ١٠ » مِنَ الْمَقْدَمَةِ : « وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي هَذِهِ النُّسخَةِ نَقْصًا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا نَجَدَهُ
فِي كُتُبِ الْأَدَبِ وَالتَّرَاجِمِ مِنْ نصوصٍ مَنْقُولَةٍ عَنْ كِتَابِ الْوَرَقَةِ لَا نَجَدَهَا فِي النُّسخَةِ »
(٢) الرَّخَّجِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى « رُخَّجٍ » قَالَ يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ :
« رُخَّجٌ مِثَالُ زُمَّجٍ بِتَشْدِيدِ ثَانِيهِ وَآخِرِهِ جِيمٌ ، تَعْرِيبُ رُخَّوْ : كُورَةٌ وَمَدِينَةٌ مِنْ
نَوَاحِي كَابُلَ . . . وَيَنْسَبُ إِلَى الرَّخَّجِ فَرَجٌ وَابْنُهُ عُمَرُ بْنُ فَرَجٍ وَكَانَا مِنْ أَعْيَانِ
الْكِتَابِ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ ، شَبِيهًا (كَذَا) بِالْوُزَرَاءِ وَذَوِي الدَّوَاوِينِ
الْجَلِيلَةِ . . . » . وَمُحَمَّدٌ هَذَا أَخُو عُمَرَ ، وَخَبَرَ الْإِهْدَاءَ وَارِدَ فِي الْأَغَانِي « ٢١ :
. ١١٤ » .

الشعراء بحضرته ، فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي :
 قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطى إلى ما لم يركب
 (٢٥) كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحبّة لؤلؤ لم تشق^(١)
 فقالت فضل مجيبة له :

إنّ المطيّة لا يلد ركبها حتى تذلل بالزمام وترك^(٢)
 والحب ليس بنافع أربابه حتى يؤلف بالنظام ويشق
 وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال حدثني عمرو ومحمد بن خلف
 وجعفر بن قدامة قالوا حدثنا أبو العيّن قال : لما أدخلت فضل الشاعرة
 على المتوكل يوم أهديت إليه قال لها : شاعرة أنت ؟ قالت : كذا يزعم
 من باعني واشتراني^(٣) . فضحك وقال : أنشدنا شيئاً من شعرك . فأنشدته
 قولها :

استقبل^(٤) الملك إمام الهدى عام ثلاث وثلاثين
 (٢٥ط) خلافة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا

- (١) ورد في المنتظم أن هذا البيت من نظم فضل . وهو بذلك أشبه .
 (٢) كذا ورد في فوات الوفيات « ما لم تذلل بالزمان وترك » . والصواب
 في الأصل « حتى تذلل بالزمام وتركها » .
 (٣) كذا ورد في الأصل . وفي المنتظم « كذا يزعم من باعني ومن اشترى »
 وهو الصحيح لأن « من باع » هو غير « من اشترى » فينبغي تكرار الاسم الموصول
 كما في قوله تعالى « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » لأن ما بين أيديهم مبين لما
 خلفهم ، وعلى هذا يجرى تركيب الكلام عند العرب .
 (٤) استقبال الشيء : واجهه ، وأرادت بالاستقبال مباشرة الخلافة .

إِنَّا لَنَرْجُوا إِمَامَ الْهُدَى أَنْ تَمْلِكَ الْمُلْكَ^(١) ثَمَانِينَ
لَا قَدَسَ اللَّهُ أَمْرًا لَمْ يَقُلْ عِنْدَ دُعَاءِ لَكَ : آمِينَ—

قال : فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسين ألف درهم .

وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال أخبرنا محمد بن خلف بن المرزباني
قال حدثني أبو العباس المروزي قال : قال المتوكل لعل بن الجهم
« قُلْ يَتَا وَقُلْ لِفَضْلِ الشَّاعِرَةِ تُجْزُهُ » فقال علي : أَجِيزِي يَا فَضْلُ :

لَا ذَرْبَ لَهَا يَشْتَكِي إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا مَلَاذًا
فَأَطْرَقَتْ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَتْ :

وَلَمْ يَزَلْ ضَارِعًا إِلَيْهَا مَهْطِلٌ أَجْفَانُهُ رَذَاذَا (٢٦٦)
فَعَاتَبَتْهُ فَمَاتَ وَجَدًّا فَكَانَ مَاذَا ؟

فَطَرِبَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ : أَحْسَنْتِ وَحَيَاتِي يَا فَضْلُ وَأَمَرَهَا بِأَلْفِي دَرَاهِمَ .

وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال حدثني جعفر بن قدامة حدثني
سعيد^(٢) بن حميد قال : قلت لفضل الشاعرة أجيزي :

(١) في الأغاني « الدنيا » بدلاً من « الملك » . وكذلك ما في فوات الوفيات .
وفي المنتظم « الأمر » .

(٢) ذكر أبو الحسن علي المسعودي أن المستعين بالله العباسي قلد سعيد بن
حميد ديوان الرسائل ، قال : « وكان سعيد حافظاً لما يستحسن من الأخبار ،
أو يستجاد من الأشعار ، متصرفاً في فنون العلم ، ممتعاً إذا حدث ، مفيداً إذا
جولس ، وله أشعار كثيرة حسان . . . إلا أن سعيداً على ما وصفنا عنه من الأدب
كان يتنصب ويظهر التسنن والتحنبل وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين على

مَنْ لِمُحِبِّ أَحَبَّ فِي صِفَرِهِ ؟

فقلت غير متوقّفة :

فصار أُحدوثُهُ عَلَى كِبَرِهِ

فقلتُ :

مِنْ نَظَرٍ شَفَّهُ فَأَرْقَهُ

فقلت :

فكان مَبْدَا هَوَاهُ مِنْ نَظَرِهِ

ثم شُغِلْتُ هُنَيْئَةً ثم قالت :

لولا الأمانى لمات من كمدٍ مرُّ الليالى يزيدُ فى فكرِهِ^(١)
(ط ٢٦) ليسَ له مُسَعِدٌ يُسَاعِدُهُ بالليل فى طولِهِ وفى قِصرِهِ

وبِهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الفرج قال قرأتُ فى بعض الكتب عن عبد الله

ابن أبى طالب - رضى - وعن الطاهر بن من أولاده . . . وكان من أبناء المحوس « مروج الذهب ج ٤ ص ٩١ من طبعة دار الرجاء » . وذكر عز الدين بن جماعة الكنائى بسنده أن أبا عثمان سعيد بن حميد كان من أولاد الدهاقين من أهل النهروان الأوسط وولد ببغداد ونشأ بها وكان والده من وجوه المعتزلة ثم ادعى سعيد أنه من ذرية ملوك الفرس وكان كثير الإغارة على آثار الأدباء ، وألف كتاب « انتصاف العجم من العرب » ويعرف بكتاب التسوية قال : وذكر محمد بن داود بن الجراح أن مذهبه فى العدول عن أهل البيت كان متعارفًا مشهوراً . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٤٦ الورقة ١٢٠ » .

(١) فى الأصل « من الليالى تزيد فى فكرِهِ » وهو غير مستقيم . يراجع الأغانى « ١٩ : ١١٤ - ١٢٧ » والوزراء والكتاب « ٦٩ » والديارات « ٩٠٧ » .

ابن المعتز قال : قال لي إبراهيم بن المدبر^(١) « كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله - عز وجل - خطاً ، وأفصحهم كلاماً ، وأبلغهم في مخاطبة ، وأبينهم في محاوره ، فقلت يوماً لسعيد بن حميد : أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتُقيدها^(٢) وتُخرِّجها فقد أخذتُ نحوك في الكلام وسلكتُ سبيلك . فقال لي وهو يضحك : ما أحسن ظنك !! ليتها تسلم مني : لا آخذُ كلامها ورسائلها ، والله يا أخى لو أخذ أفاضلُ الكتاب وكبرائهم وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك .

وأنشد^(٣) أبو علي الرازي قال أنشدتنا فضل الشاعرة لنفسها :
 الصبرُ ينقصُ والبلاءُ يزيدُ والدارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
 أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيعُ سواها المجهودُ

وحدث أبو علي نطّاحة قال : خرج بعض الهاشميين يوماً من منزل بعض إخوانه في الليل ، فرأى امرأة ذات لباس وجمال ، وحولها

(١) قال شمس الدين الذهبي في المشتبه - ص ٤٧٢ - : « المدبر بفتح الموحدة أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر الأخباري يحكى عنه جحظة » . وسيرته مشهورة في كتب الأدب والتاريخ ، وله الرسالة العذراء في الإنشاء ومذاهب الكتاب ، طبعها الدكتور زكي مبارك بمصر سنة ١٩٣١ ، وقد استوزره المعتمد على الله . توفي سنة ٢٧٩ « معجم الأدباء ١ : ٢٩٢ » وتاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٧٩ .
 (٢) في الأصل « وتقيدها » وهو غير مستقيم ولا متسق ، والصواب ما ذكرناه .

(٣) هكذا ورد في الأصل ولعله « وحدث أبو علي . . . »

نِسْوَةٌ قَدْ حَفَفْنَ بِهَا ، وَهِيَ فِي وَسْطِهِنَّ . فَقَالَ :
إِنَّ أَخَا الظَّالِمَاءِ مُسْتَرَابٌ

وَأَسْمَعُ النِّسْوَةَ فَأَجَابْتَهُ الَّتِي حَفَفْنَ بِهَا فِي أَسْرَعِ مِّنْ نَّفْسٍ :
إِلَّا مُحِبًّا شَاقَهُ الْأَحْبَابُ

فسأل عن المرأة فإذا هي فضل الشاعرة . ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة^(١) في أخبار الشعراء^(٢) المحدثين قال : فضل (٢٧٦) الشاعرة العبدية مولاة المتوكل أشعر امرأة كانت في هذا العصر ومن قولها في السَّجَرِ :

قَدْ بَدَأَ شِبْهُكَ يَا مَوْ لَايَ يَحْدُو بِالظَّلَامِ
فَانْتَبَهَ نَقْضَ لُبَانَا تِ اغْتَبَاقِ وَالتَّامِ
قَبْلَ أَنْ تَقْضِ حَنَا عَو دَةُ أَرْوَاحِ النِّيَامِ

ذكر بعض المؤرخين أَنَّ فَضْلَ الشاعرة تُوْفِيت سنة سبع وخمسين ومائتين .

(١) لم يرد هذا الخبر في المطبوع من كتاب « الورقة » ولا الذي ذكره في أول سيرة « فضل » كما أشرنا إليه آنفًا .

(٢) في الأصل « شعراء المحدثين » وهو غلط من ناسخ غير عربي .

بنان^(١) جارية المتوكل

كانت شاعرة ، ذكرها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب الأغاني ، أنبأني عبد الرحمن الطحان عن أبي القاسم بن السمرقندي قال أخبرنا أبو منصور العكبري قال أخبرنا أبو الحسن بن (٢٨) الصلت قال أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال أخبرني جعفر بن قدامة حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي قال حدثني بنان الشاعرة قالت : خرج المتوكل يوماً يمشي في صحن القصر ، وهو متوكئ على يدي ويد فضل الشاعرة فمشى شيئاً ثم أنشد قول الشاعر :

تَعَلَّمْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهَا وَعَلَّمَهَا حُبِّي لَهَا كَيْفَ تَعْتَبُ

ثم قال : أجيزي هذا البيت ، فقالت فضل :

يَصْدُ وَأَدْنُو بِالْمُودَةِ جَاهِدًا وَيَبْعُدُ عَنِّي بِالْوَصَالِ وَأَقْرُبُ

فقلت :

وَعِنْدِي لَهُ الْعُتْبَى عَلَى كُلِّ حَالٍ فَمَا مِنْهُ لِي بُدٌّ وَلَا عَنْهُ مَهْرَبُ

(١) ضبط الذهبي بالقلم كل « بنان » للرجال بضم الباء الموحدة ولا نظن الجارية سميت إلا بالبنان الذي هو أطراف الأصابع ، وأخبار « بنان » هذه في الأغاني كما أشار إليه المؤلف ونقل منه « ٨ : ١٧ ، ٢٠ » و « ١١ : ٢ » و « ٢١ : ١١٦ - ١٢٠ » .

مَحْبُوبَةٌ^(١) جارية الإمام المتوكل

ذكرها صاحب كتاب الأغاني . أخبرني عبد الرحمن بن سعد الله
الواسطي إِيْذْنًا عن أبي القاسم بن السمرقندي قال أخبرني أبو منصور
العُكْبَرِيُّ أخبرنا أبو الحسن بن الصلت أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني
قال : محبوبَةُ جارية المتوكل كانت مولدة شاعرة مغنية مُقَدِّمَةٌ في
الحالتين على طبقها ، وكانت حسنة الوجه والغناء ، أهداها عبيد الله بن
طاهر للمتوكل على الله لما وُلِّيَ الخلافة في جُمْلَةِ أربعمائة^(٢) جارية قِيَانٍ
وسَوَاجٍ^(٣) ، فتقدمتهنَّ جميعاً عنده .

وبِهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَمَةَ حَدَّثَنِي
(٢٩١) ابْنُ خُرْدَاذِبِهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا بِمَحْضَرَةِ الْمُتَوَكِّلِ
وَهُوَ يَشْرَبُ وَنَحْنُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ دَفَعَ إِلَيَّ مَحْبُوبَةً تُفَاحَةً مُغْلَقَةً بِغَالِيَةٍ

(١) أخبارها في الأغاني « ١٩ ، ١٣٢ - ٤ » . ومروج الذهب « ٤ :
٧٣ طبعة دار الرجاء » وتاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٣٥٧ ، ٣٦٠ طبعة الهند »
وألف ليلة وليلة « ٢ : ٣٠٤ طبعة مطبعة التقدم » ووفيات الأعيان « نشرة وستنفلد
المستشرق الألماني في الترجمة ١٣٣ وهي ترجمة أبي الفضل جعفر المتوكل على الله »
(٢) في المروج « وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيف ووصيفة »
وفي ألف ليلة وليلة « وقد أهدى عبيد الله بن طاهر إلى المتوكل أربعمائة جارية :
مائتان بيض ومائتان حبش ومولدات » .

(٣) السَّوَاجِ جمع الساذجة وهي الجارية التي لم تدرب على الغناء ولا على
الضرب على آلاته .

فقلبتُها^(١) وانصرفتُ عن حضرته ثم خرجتُ جاريةً لها ومعهما رُقعة ،
فدفعتهَا إلى المتوكل فقرأها وضحك ثم رمى الرُقعة إلى نافقرا أناها فإذا فيها:

يا طيب^(٢) تُفَاحَةٌ خَلَوْتُ بِهَا تُشِيلُ نَارَ الْهَوَىٰ عَلَى كِبْدِي
أَبْكِي إِلَيْهَا فَأَشْتَكِي دَنَفِي وَمَا أُلَاقِي مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ
لَوْ أَنَّ تُفَاحَةً بَكَتْ لَبَكَتْ مِنْ رَحْمَتِي^(٣) هَذِهِ الَّتِي بِيَدِي
إِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمِينَ مَا لَقِيتُ نَفْسِي فَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي جَسَدِي
فَإِنْ تَأَمَّلْتَهُ عِلِمَتِ بَأْنُ لَيْسَ لِخَلْقٍ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدِ

قال : فما بقى والله أحدٌ إلا استظرفها واستملح الأبيات . وأمر المتوكل (ط٢٩)
عَرِيبَ وَشَارِيَةَ^(٤) فَصَنَعَتَا فِي الشُّعْرِ لَحْنَيْنِ^(٥) غُنِّيَ بِهِمَا بَقَى يَوْمِهِ .

(١) هكذا ورد الفعل ، ويجوز أن يكون أصله « فقلبتُها » كأنها فعلت ذلك احتراماً لمهديها .

(٢) قال ابن هشام في المغنى : وإذا ولي (يا) ما ليس بمنادى كالفعل في (ألياً اسجدوا) . . . والحرف نجو (يا ليتنى كنت معهم فأفوز ،) يا رَبَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة (والجملة الاسمية كقوله : يا لعنة الله والأقوام كلهم . . . فقيل هي للنداء والمنادى محذوف ، وقيل هي لمجرد التنبيه لئلا يلزم الإحجاف بمحذف الجملة كلها . . . » .

(٣) هكذا في الأصل « من رحمتي » وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله .

(٤) من شهيرات الجوارى وكبيرات الملحنات والمغنيات ، لها ذكر في تاريخ الطبرى في حوادث سنة « ٢٣٢ » وسنة « ٢٥٦ » ، وأخبارها في الأغاني « ٣ : ١٢١ ، ١٧٧ ، ٩٠ : ٣٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٤٠ : ٩٨ ، ١٠٥ - ١١٠ طبعة ساسي » والديارات للشابشتي « ص ٦٥ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ . ولها ترجمة في الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد ٢٠٦٥ الورقة ١٣١ » .

(٥) في الأصل « تحتن » والذي أثبتناه هو الصواب .

وبِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ : قَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ - وَكَانَ يَأْنَسُ بِهِ وَلَا يَكْتُمُهُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ - :
يَا عَلِيُّ إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى قَبِيحَةٍ^(١) الشَّاعِرَةِ فَوَجَدْتُهَا قَدْ كَتَبَتْ اسْمِي عَلَى خَدِّهَا بَغَالِيَةً ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ سَوَادِ تِلْكَ الْبَغَالِيَةِ عَلَى بَيَاضِ ذَلِكَ الْخَدِّ ، فَقُلْتُ فِي هَذَا شَيْئاً . وَكَانَتْ مُحَبُّوبَةً جَالِسَةً مِنْ وَرَاءِ السُّتَارَةِ تَسْمَعُ الْكَلَامَ ، فَإِلَى أَنْ دُعِيَ لِعَلِيِّ بِالذَّوَاةِ وَالذَّرْجِ وَأُخِذَ يَفْكُرُ قَالَتْ عَلَى الْبَدِيهِةِ :

(٣٠) وَكَاتِبَةٌ بِالْمِسْكِ فِي الْخَدِّ جَعْفَرَا بِنَفْسِي مَخَطُّ الْمِسْكِ مِنْ حَيْثُ أَثَرَا
لِئِنْ كَتَبْتُ فِي الْخَدِّ سَطْرًا بِكَفِّهَا^(٢) لَقَدْ أَوْدَعْتُ قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ^(٣) أَسْطُرَا

(١) من جوارى المتوكل المشهورات بالجمال وهي رومية الأصل ، وإنما سميت قبيحة من بابة المضادة في التسمية خوفاً عليها من إصابة العين ، وقد ولدت للمتوكل فيمن ولدت ابنين هما المعتز بالله وأخوه إسماعيل ، ولها في كتب الأدب أخبار مليحة ، وفي تاريخ العراق السياسي أنباء خطيرة ، توفيت بسامرا بعد عمر حافل بالأحداث والحوادث سنة ٢٦٤ هـ ويظهر لنا أن المؤلف ذكرها في كتابه « أخبار من أدركت خلافته ولدها من جهات الخلفاء ذوات المعروف والعطاء » . المذكور في أول هذا الكتاب ، وأخبارها في الأغاني « ٩ : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٢ : ١٥٩ ، ١٧ : ١٣٠ ، ١٩ : ١٣٢ ، ٢١ : ١١٩ طبعة ساسي » . وتاريخ الطبري في مواضع . والديارات للشابشتي « ص ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ » والمنتظم « ٥ : ٤٨ » . وتاريخ الخلفاء للسيوطي « ص ٢٥٦ » وسيدات البلاط العباسي « ٧٠ - ٨١ » . وعميون الأنباء في طبقات الأطباء « ١ : ١٧١ » وغير ذلك .

(٢) في مروج الذهب « لئن أودعت خطأ من المسك خدّها » . « ج ٤ ص ٧٤ » . وفي تاريخ الخلفاء « لئن أودعت سطرًا من المسك خدّها » .
(٣) في المروج « الوجد » .

فيا مَنْ لِمَمْلُوكٍ لِمَلِكٍ يَمِينِهِ مُطِيعٌ لَهُ فِيمَا أَسَرَ وَأَظْهَرَ^(١)
ويا مَنْ مُنَاهَا فِي السَّرِيرَةِ جَعْفَرٌ سَقَى اللَّهُ مِنْ سُقْيَا ثَنَائِكَ جَعْفَرًا^(٢)

قال : وبقي على بن الجهم واجباً لا ينطقُ بحرف ، وأمرَ المتوكل
عَرِيبَ فَعَنَّتْ فِي هَذَا الشَّعْرِ .

وبِهِ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي مَوْلَايَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ
قَالَ : غَاظَبَ الْمُتَوَكِّلُ مَحْبُوبَةً فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ بَعْدَهَا عَنْهُ ثُمَّ صَالَحَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ^(٣) ثُمَّ جِئْتُهُ يَوْمًا فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهَا قَدْ صَالَحَتْهُ ، وَدَعَا
بِخَادِمٍ لَهُ فَقَالَ : اذْهَبْ فَاعْرِفْ لِي خَبَرَهَا وَأَيَّ شَيْءٍ تَصْنَعُ ؟ فَرَجَعَ^(٣٠) (ظ)
فَأَعْلَمَهُ أَنَّهَا جَالِسَةٌ تَغْنِي . فَقَالَ لِي : أَمَا تَرَى إِلَى هَذِهِ تَغْنِي وَأَنَا عَلَيْهَا

(١) فِي الْمَرْوَجِ : فَيَا مَنْ لِمَمْلُوكٍ يَظَلُّ مُلِكُهُ مُطِيعًا لَهُ فِيمَا أَسَرَ وَأَظْهَرَ

(٢) فِي الْمَرْوَجِ :

وَيَا مَنْ لَعِينِي مِنْ رَأْيٍ مِثْلَ جَعْفَرٍ سَقَى اللَّهُ صُوبَ الْمُسْتَهْلَاتِ جَعْفَرًا

(٣) هَكَذَا وَرَدَ النَّصُّ فِيهِ اضْطِرَابٌ فِي الْإِسْنَادِ وَالسِّيَاقِ وَالْقِصَّةِ مَفْصُلةً

فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ « ٤ : ٧٤ - ٥ » بِاتِّسَاقٍ وَحُسْنِ انِّسِيَاقٍ . قَالَ ابْنُ الْجَهْمِ :

وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ أَيْضًا لِأَنَادِمِهِ فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ يَا عَلِي ، عَلِمْتَ أَنِّي غَاظَبْتُ مَحْبُوبَةً

وَأَمَرْتُهَا بِلُزُومِ مَقْصُورَتِهَا وَنَهَيْتُ الْحَشَمَ عَنِ الدَّخُولِ إِلَيْهَا وَأَنْفَتُ مِنْ كَلَامِهَا ،

فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي إِنْ كُنْتُ غَاظَبْتُهَا الْيَوْمَ فَصَالَحْتُهَا غَدًا وَيَدِيمُ اللَّهُ سُرُورَ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَمْدُدُّ فِي عَمْرِهِ » .

وَفِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ لِلْسَيُوطِيِّ « عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ : أَهْدَى إِلَى الْمُتَوَكِّلِ

جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا مَحْبُوبَةٌ . . ثُمَّ إِنَّهُ غَضِبَ عَلَيْهَا وَمَنَعَ جَوَارِيَ الْقَصْرِ مِنْ كَلَامِهَا ،

فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ لِي : قَدْ رَأَيْتُ مَحْبُوبَةً فِي مَنَامِي كَأَنِّي قَدْ صَالَحْتُهَا وَصَالَحْتَنِي

فَقُلْتُ : خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : قُمْ لِنَنْظُرْ مَا هِيَ عَلَيْهِ . . . » وَهَكَذَا نَجِدُ

الْقِصَّةَ وَالشَّعْرَ فِي اخْتِلَافٍ وَتَغَايِيرٍ .

غَضَبَان . ثم قال لى : قم معى حتى نسمع بأى شىء تغنى ! فقمنا حتى انتهينا إلى حُجرتها فإذا هى تُغنى :

أدورُ فى القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يُكلمنى
حتى كأنى ركبْتُ مَعْصِيَةً لَيْسَتْ لها تَوْبَةٌ تُخَلِّصُنِي
فهل لنا شافع إلى ملكٍ^(١) قد زارنى فى الكرى فصالحنى
حتى إذا ما الصبحُ لاح^(٢) لنا عادَ إلى هجرِهِ فصارمَنى

قال : فَطَرِبَ المتوكلُ وأَحْسَتْ به فخرجَتْ إليه ، وخرَجنا تتبادر .
(٣١) فأعلَمَتْهُ أنها رأتَهُ فى النوم وقد جاءها فصالحها فقالت هذا الشمر وغنَّتْ
به . فَأَطْرَبَ ذلك المتوكلُ ، وأقام يشربُ مَعَهَا ، وخرجَتْ إلينا
جوائزها .

وبه قال : حدثنا على بن يحيى أن جَوَارِيَّ^(٣) المتوكل تفرَّقْنَ بعد موْتِهِ
فصار إلى وصيفٍ عدَّةٌ مِنْهُنَّ فيهنَّ مَحْبُوبَةٌ^(٤) ، واصطبج يوماً وأمر

(١) فى المروج « فمن شفيع لنا إلى ملك » وفى تاريخ الخلفاء « فهل شفيع
لنا إلى ملك » .

(٢) فى المروج « عاد » .

(٣) قال المسعودى والسيوطى بعده « ويقال إن المتوكل كان له أربعة آلاف
سُرِّيَّة ، وطئهنَّ كُلَّهنَّ » .

(٤) فى المروج « ضمت هى وكثير من الرصائف إلى بغا الكبير وفى تاريخ
الخلفاء « وكان من حظاياها وصيفة تسمى محبوبة شاعرة عالمة بصنوف العلم ، عوادة
فلما قتل ضمت إلى بغا الكبير . . . » فالظاهر أن هذا هو الخبر الراجح . بولا
أن مؤلف هذا الكتاب سيزكر كيفية انتقالها إلى بغا .

بإحضارِ جَوَارِي المتوكل ، فَأُحْضِرْنَ وَعَلِيهِنَّ الثِّيَابُ الفاخرة الملوّنة
والْحُلِيُّ وقد تَزَيَّنَّ وتَعَطَّرْنَ، سوى محبوبة فإنها جاءت مرَّهَاءً^(١) مُتَسَلِّبَةً^(٢)
عليها ثياب بياض غير فاخرة ، فَغَنَّى الجوارى وطَرِبْنَ وشَرِبْنَ وطَرِبَ
ثم قال لمحبوبة : غَنَّى . فَأَخَذَت العُودَ وَغَنَّتْ وهي تبكى :

أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ لِي^(٣) لَا أَرَى فِيهِ جَعْفَرًا
مَلِكًا قَدْ رَأَيْتُهُ عَيْنِي قَتِيلًا مُعَفَّرًا^(٤)
كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا سَقَا مـ وَحُزْنٍ فَقَدْ بَرَا^(٥)
غَيْرِ مَحْبُوبَةٍ أَلَّتِي لَوْ تَرَى الْمَوْتَ يُشْتَرَى

(٣١ ظ)

(١) يُقَالُ : مَرَّهَتْ عَيْنُهَا تَمَرَدُ مَرَّهَا : ابْيَضَّتْ بَوَاطِنُ أَجْفَانِهَا لَتَرَكَ
الْكُحْلُ فِيهَا مَرَّهَاءً وَقِيلَ لِلْمَرْأَةِ « مَرَّهَاءٌ » عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ .
(٢) تَسَلَّيْتُ : لَبَسْتُ السَّلَابَ وَهِيَ ثِيَابُ الْمَأْتَمِ السُّودِ فِي الْأَصْلِ كَالْحَدَادِ ،
وَلَكِنْ مَحْبُوبَةٌ لَمْ تَلْبَسْ ثِيَابًا سُودًا بَلْ كَانَ عَلَيْهَا ثِيَابٌ بَيْضٌ وَهِيَ لِبَاسُ الْحُزَنِ
عِنْدَ بَنِي الْعَبَّاسِ بِمَا كَانَ مِنْ اخْتِيَارِهِمُ السُّودَ لِلْبَاسِهِمُ الْمَعْتَادِ . « رَاجِعِ الْمُنْتَظَمَ ٨ :
٢٩٢ » فِيهِ أَنَّ الْمُقْتَدِيَّ لَمَّا جَلَسَ بَعْدَ الْبَيْعَةِ كَانَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ أَبْيَضٌ وَعِمَامَةٌ لَطِيفَةٌ
بَيْضَاءُ وَطَرَحَةٌ قَصَبٌ دُرِّيَّةٌ . وَكَانُوا يَلْبَسُونَ الْبَيَاضَ أَيَّامَ الْحُزَنِ ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى
لِبَاسِ السُّودِ . وَقَدْ هَمَّ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي اتِّخَاذِ الْبَيَاضِ لِلْحُزَنِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
الْحَصْرِيُّ :

إِذَا كَانَ الْبَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ بِأَنْدَلُسٍ وَذَاكَ مِنْ الصَّوَابِ
أَلَمْ تَرْنِي لَبَسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي لِأَنِّي قَدْ حُزَنْتُ عَلَى شَبَابِي
الذَّخِيرَةُ « ٢ : ٣٧ » وَالْوَفَايَاتُ « ١ : ٣٧٢ » .

(٣) فِي الْمَرْوَجِ وَتَارِيخِ الْخُلَفَاءِ « يَلْدُ لِي »

(٤) فِيهِمَا « مَلِكٌ قَدْ رَأَيْتُهُ - فِي نَجِيعٍ مُعَفَّرًا » .

(٥) فِي الْمَرْوَجِ « كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا خَبَالٍ وَسَقَمٍ فَقَدْ بَرَا » . وَفِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ

« كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا هِيَامٍ وَسَقَمٍ فَقَدْ بَرَا » .

لأَشْرَتْهُ بِمِلْكِهَا لِتُؤَارَى وَتُقَبَّرَا^(١)
 إِنَّ مَوْتَ الْحَزِينِ أَطْيَبُ مِنْ أَنْ يُعْمَرَ

قال : فاشتد ذلك على وَصِيفٍ وَهَمَّ بِقَتْلِهَا فاستوهبها منه بُغَا ، وكان
 حاضراً ، فوهبها له وأعتقها وأمرها بأن تُقيم حيث أَحَبَّتْ ، فخرجت
 إلى بغداد فأقامت بها ، وَأَخْمَلَتْ نَفْسَهَا حَتَّى مَاتَتْ حَزِينَةً — رَحِمَهَا
 اللَّهُ تَعَالَى ، وَجَزَاهَا عَنْ حُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوِدَادِ وَالْوَفَاءِ خَيْرًا — .

نَاشِبُ الْمُتَوَكِّلِيَّةِ

(٣٢) كانت من المغنيات المذكورات بِالْحِذْقِ وَجَوْدَةِ الصَّنْعَةِ . روى
 عنها القاضي أبو بكر أحمد^(٢) بن كامل بن خلف بن شجرة . قرأتُ على
 الحافظ أبي عبد الله البغدادي^(٣) .

(١) فيهما « لأشترته بما حوتها يداها لتُقبرا » .

(٢) تقدم ذكره في « ص ٨٠ » .

(٣) هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله
 المعروف بابن النجار الحافظ ، أحد كبار المؤرخين والمؤلفين والمحدثين ، قال ابن
 الفوطى : « كان من الحفاظ المكثرين ، والعلماء المشهورين ، والفضلاء المذكورين ،
 سافر الكثير في طلب العلم شرقاً وغرباً . . . وسمع في كل بلد دخله وقرية نزلها ،
 وصنف الذيل على تاريخ الخطيب ، وله غير ذلك من الكتب والمجاميع ، وله مشيخة
 تحتوى على ألف شيخ . ومولده في ذى القعدة سنة ٥٧٨ . وتوفي في خامس شعبان
 سنة ٦٤٣ ودفن بباب حرب » . « تلخيص معجم الألقاب » ، ج ٥ الترجمة ٧٠٧
 طبعة لاهور في باكستان . وله ترجمة في الكتاب الذى سميناه « الحوادث الجامعة
 ص ٢٠٥ استرجاحاً » فظهر أنه غيره . وفي طبقات الشافعية الكبرى للسبكي =

قال أخبرنا عيسى^(١) بن عبد العزيز اللَّخْمِيّ بالقاهرة ، أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني [السِّلَفِيّ] أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أخبرنا أبو يعلى أحمد^(٢) بن عبد الواحد العدل أخبرنا أبو الفرج المَعافِيّ بن زكريا الجَرِيرِيّ قال حدثنا أحمد بن كامل قال : سمعتُ ناشبَ المتوكِّلِيَّةَ تُغَنِّي لِإبراهيم بن المهدي :

أَنْتَ امْرُؤٌ مُتَجَنِّ وَلَسْتَ بِالغَضْبَانِ
هَبْنِي أُسَاتُ فَهَلَّا مَنَنْتَ بِالْغُفْرَانِ

= « ٤١ : ٥ » وفوات الوفيات « ٢ : ٢٦٤ » والشذرات « ٥ : ٢٢٦ » وله ذكر في النجوم الزاهرة « ٦ : ٣٥٥ » وقد جاء فيه لقبه « مجد الدين » بدلاً من « مجد الدين » وهو من خطأ النسخ وعدم التصحيح في الطبع . وله ترجمة حسنة في « منتقى المعجم الكبير الذي لشمس الدين الذهبي ، انتقاء تقي الدين ابن قاضي شهبة » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٦ الورقة ١٤٧ .

(١) ذكره شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري في « غاية النهاية في طبقات القراء » ج ١ ص ٦٠٩ وتمام اسمه « موفق الدين أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد اللخمي الشريشي الأصل ثم الإسكندري المالكي المقرئ » ذكر أنه كان إماماً في قراءات القرآن ، ولكنه خلط كثيراً وأتى بشيوخ لا يعرفون فاتهم بالكذب وألف كتاباً في القراءات سماه « الجامع الأكبر » قال ابن الجزري : « لم يجمع مثله في هذا الفن فإنه لم يترك من القراءات شيئاً قلَّ ولا جلَّ إلا نادراً . من رآه رأى العجب » . توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٢٩ بالإسكندرية « غاية النهاية ١ : ٦٠٩ - ٦١١ » والشذرات « ٥ : ١٣٢ » وله ذكر في النجوم الزاهرة « ٦ : ٢٧٩ » . وذكره جمال الدين بن الصابوني في « تكملة إكمال الإكمال » ص ٢١٦ من طبعة المجمع العلمي العراقي وتعليق ناشر هذا الكتاب . (٢) في الأصل « ابن أحمد » . راجع تاريخ الخطيب « ٤ : ٢٧٠ » .

فاطمة بنت الفتح بن خاقان

(١٣٢) كانت زوجة الإمام المَعْتَز بالله محمد بن المتوكل ، ماتت سنة سبع وسبعين ومائتين ، ذكر ذلك أبو طاهر الكَرخي^(١) .

فريدة^(٢) زوجة المتوكل

وهي الصغرى

ذكرها الصُّولي فقال : فَرِيدَة (بالياء) كانت جارية مُغْنِيَة مُحْسِنَة ، ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ونسب إليها الصنعة في

(١) هو أحمد بن الحسن بن محمد بن خداداذ الباقلوى ، ولد ببغداد ونشأ فيها . وعنى بالحديث فسمع من أبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم بن بشران ، وأبي بكر البرقاني وغيرهم ، وكان ثقة في الحديث ضابطاً ، جميل الحصال ، مقبلاً على ما يعنيه . زاهداً في الدنيا ، حدث عنه عبد الوهاب الأنماطى ، وكان يتشاغل يوم الجمعة بالتعبد ، ويقول لأصحاب الحديث « من السبت إلى الخميس ، ويوم الجمعة أنا بحكم نفسى للتبكير للصلاة وقراءة القرآن . وما قرئ عليه في الجامع حديث قط . » توفي سنة ٤٨٩ ودفن بمقبرة باب حرب ، ترجمه ابن الجوزى في المنتظم ٩ : ٩٨ ولم يذكر له تاريخاً إلا أن بعض المؤرخين غير ابن الساعى المؤلف ، نقل من تاريخه « راجع التاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق » التاريخ ومنحقاته ٤٢ الورقة ٥ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١٢٩ ، ١٥٢ و « نسخة دار الكتب الوطنية ببأريس ٢١٣١ الورقة ٤٧ ، ٨٢ » ونقل منه ابن الفوطى بوساطة تاريخ ابن النجار « تلخيص معجم الألقاب ، نسخة المكتبة الظاهرية في « علم السنة عتيق بن عبدالله البكرى » . (الورقة ٦٤) .

(٢) الأغاني ٣ : ١٧١ - ٥٢٨ : ٩١ ، ٨ ، ١٦٠ ، ١٤ : ١٠٨ ،

١٧ : ١٣٧ .

صوت لأبي العتاهية وهي قوله :

يا ويح قلبي لو أنه أقصرُ ما كان عيشي كما أرى أكدرُ
فمن عذيري ممن كلفت به يشهد قلبي بأنه يسحرُ
يا رب يوم رأيتني كلفاً أخوض في اللهو مسبل المئزرُ
بين ندامي تحث كاسهم عليهم كف شادين أحورُ (١٣٣)

كانت عند الإمام الواثق ، وكانت حظية عنده ، مقربة لديه ،
وكانت على ملك عمرو بن بانه المغني . فلما مات الواثق بالله وبويع
أخوه الإمام المتوكل على الله أهداها له ، فتزوجها وحظيت عنده .
وقيل بل أهداها مولاها عمرو المذكور للواثق ، ثم صارت إلى
المتوكل فتزوجها .

نبت^(١) جارية الإمام المعتمد

ذكرها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب الأغاني فقال:
كانت مغنية حسنة الغناء ، شاعرة سريعة الهاجس وقال : ذكر أحمد^(٢)

(١) الأغاني « ١٩ : ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ طبعة ساسي » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن مروان المعروف بابن الطيب وبابن الفرانقي ،
قال ياقوت : « أحد العلماء الفُهماء ، المحصلين ، الفصحاء البلغاء ، المتقنين .
له في علم الأثر الباع الوساع ، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد وبسطة
في الذراع ، وهو تلميذ الكندي وله في كل فن تصانيف ، ومجاميع وتوالييف ،
وكان أحد ندماء أبي العباس المعتضد بالله والمختصين به ، فأنكر منه بعض شأنه =

ابن الطيّب عن بعض الكتّاب أنها عُرِضَتْ عَلَى الإمام المعتمد عَلَى الله ،
(٣٣ ظ) فامْتَحَنَهَا فِي الْغِنَاءِ وَالْكِتَابَةِ ، فَرَضَى بِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ أَمْرِهَا ، ثُمَّ قَالَ
لَا بَنَ حَمْدُونَ : قَارِضُهَا . فَقَالَ :

وَهَبْتُ نَفْسِي لِلْهَوَى

فَقَالَتْ غَيْرُ مَتَوَقَّعة :

فَجَارَ كَمَا أَنَّ مَلَكْ

فَقَالَ :

فَصَرْتُ عَبْدًا خَاضِعًا

فَقَالَتْ :

يَسْلُكُ بِي حَيْثُ سَلَكَ

فَأَمَرَ الْمُعْتَمِدَ بِشِرَائِهَا ، فَأُتِيْعَتْ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وَأَنْبَأَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِ اللَّهِ الدَّقِيقِيُّ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّمَرَقَنْدِيِّ
عَنْ أَبِي مَنْصُورِ الْعُكْبَرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الصَّلْتِ قَالَ أَخْبَرَنَا
أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ قَدَامَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ

= فَأَذَاقَهُ حَمَامَهُ صَبْرًا وَجَعَلَهُ نِكَالًا ، وَلَمْ يَرَعْ لَهُ ذِمَّةٌ وَلَا إِلَّا . . . » وَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِيَ
الْحَسْبَةَ وَسُوقَ الرِّقِيقِ سَنَةَ ٢٨٢ وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِحَمْسِ خُلُونٍ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى
سَنَةَ ٢٨٣ غَضِبَ الْمُعْتَصِدُ عَلَيْهِ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ وَنَقَلَهُ إِلَى سِجْنِ الْمَطْبَقِ ،
وَفِي صَفَرِ سَنَةِ ٢٨٦ مَاتَ ، ذَكَرَ ذَلِكَ يَاقُوتٌ بَعْدَ أَنْ قَالَ « فَأَذَاقَهُ حَمَامَهُ صَبْرًا »
وَنَقَلَ يَاقُوتٌ أَنَّ ابْنَ الطَّيِّبِ دَعَا الْمُعْتَصِدَ إِلَى الْإِلْحَادِ فَأَلَّ أَمْرَهُ إِلَى الْهَلَاكِ « مَعْجَمُ
الْأَدْبَاءِ ١ : ١٥٨ طَبْعَةُ مَرْغَلِيُوثِ الْأُولَى » وَفَهْرَسْتُ ابْنَ النَّدِيمِ « ص ٣٦٥ »
وَالْمُنْتَظَمُ « ٥ : ١٢٤ » وَغَيْرُهَا .

قال : دخلتُ يوماً على نَبْتٍ جارية مخفِرة المَخْنَثِ وكانت حسنة الوجه

والغناء، فقلت لها : « قد قلتُ مصراعاً فَأَجِيزِيهِ » فقالت : قل . فقلت : (٣٤)

يا نَبْتُ حُسْنُكَ يُعْشَى بِهَيْجَةِ الْقَمَرِ

فقالت :

قد كاد حُسْنُكَ أَنْ يَبْتَزَّنِي بِصَرِي

فتوقفتُ أَفْكَرَ ، فسبقتني فقالت :

وطيبُ نَشْرِكٍ مِثْلُ الْمِسْكِ قَدْ نَسَمْتُ رِيًّا الرِّياضِ عَلَيْهِ فِي دُجَى السَّحَرِ

فزادتُ فِكْرَتِي ، وبادرتني ^(١) فقالت :

فهل لنا فيكَ حَظٌّ مِنْ مُوَاصِلَةٍ أَوْ لَا فَإِنِّي رَاضٍ مِنْكَ بِالنَّظَرِ

فَقُمْتُ عَنْهَا خَجِلاً ثُمَّ عُرِضْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْإِمَامِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ ،

فاشترأها بِمَشُورَةٍ عَلَى بَنِي يَحْيَى الْمَنْجَمِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

خَلَّافَةُ أُمِّ وَلَدِ الْمُعْتَمِدِ وَمَوَلَاتُهُ

كانت حظيةً عنده ، جليلة القدر ، كان لها جارية اسمها مُنِيَّةُ ^(٣٤ظ)

الكاظمة، ذكرها أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب في تاريخه وقال : حَدَّثَتْ ^(٢)

(١) في الأصل « وبارزني » ولا يناسب المقام ولا له معه التأم .

(٢) يعنى « منية » لاختلافه ، ونصّ قوله « منية الكاتبة : جارية خلافة أم ولد المعتمد على الله ، حدثت عن أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء . روى عنها عبيد الله بن الحسين بن عبد الله البزاز الأنباري » . « ج ١٤ ص ٤٤١ »

عن أبي الطيب محمد بن إسحق بن يحيى الوشاء، روى عنها عبيد الله ابن الحسين بن عبد الله البراز الأنباري .

ضِرَارُ وَالِدَةِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ

كانت جارية الإمام الموفق^(١) بن الإمام المتوكل على الله، حَظِيَّةً عنده، ولدت له الإمام المعتضد بالله، وكان اسمها قبل ذلك « خَفِير »، وكانت كثيرة البر لمواليها، ذكرها أحمد بن أبي طاهر في تاريخه^(٢) وقال : ماتت في آخر جمادى الأولى من سنة ثمان وتسعين ومائتين ودُفِنَتْ بِتُرْبِ الرُّصَافَةِ . قلت : ولم تُدْرِكْ خلافة ولدها بل تُوفيت قبله بستة أيام، فلهذا لم أذكرها في كتاب « أخبار من أدركت خلافة ولدها من جهات الخلفاء ذوات المعروف والعطاء » .

قَطْرُ^(٣) النَّدَى بِنْتُ خُمَارَوَيْهِ

ابن أحمد بن طولون

وتسمى « أسماء » . تزوجها الإمام المعتضد بالله وهي عند أبيها بمصر، ووصلت إلى بغداد في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثمانين

(١) لم يكن الموفق طلحة بن المتوكل إماماً أى خليفة بل كان ولي عهد ، فإن صح أن هذا قول المؤلف فهو خطأ . ولعل الأصل « الأمير » .

(٢) لا ذكر لها في المطبوع منه المعروف بأخبار بغداد .

(٣) أخبارها في تاريخ الطبرى كما في حوادث سنة « ٢٨٧ » ، ومروج=

ومائتين ، وزُفَّت إليه وكان معها من الجهاز ما لا يكاد أن يُوجد مثله
 في خزائن ملوك الأرض ، وكانت من أعقل النساء وأرأسهن .
 أنبأني أبو القاسم علي^(١) بن عبد الرحمن بن علي عن أحمد بن المقرَّب عن
 أبي علي البرداني قال : حدثني أخى أبو غالب يوسف بن محمد قال :
 سمعت أبا يقول يوماً وقد جرى ذكر الحرَّة بنت أحمد بن طولون زوجة
 المعتضد بالله : إنَّ المعتضد قال لها يوماً : « بِمَ تشكرين الله إذ جعل أمير
 المؤمنين زوجك ؟ » فقالت : « بما يشكر به أمير المؤمنين إذ جعل أحمد بن
 طولون من رعيتِهِ » .

ذكر محمد^(٢) بن جرير الطبري أن قطر الندى بقيت عند الإمام
 المعتضد بالله إلى أن توفيت عنده في السابع من رجب سنة سبع وثمانين
 ومائتين ، ودُفِنَتْ داخل قصر الخلافة^(٣) .

=الذهب « ٤ : ١٦٩ » طبعة دارالرجاء ، والنجوم الزاهرة « ٣ : ٥٣ ، ٦١ ، ٦٢ ،
 ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٨٥ » و « عباسية من معجم البلدان »
 وشرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد « ١ : ٧٣ ، ٢ : ٥٩٢ » والمنتظم
 « ٦ : ٢٦ » ووفيات الأعيان « ١ : ١٩٢ » في ترجمة أبيها خمارويه ، وسيدات
 البلاط العباسي « ٩٤ » .

(١) راجع تعليق ترجمة ابن الجوزي على من هذا الكتاب .

(٢) في الأصل « محمد بن حمزة الطبري » وهو خطأ واضح .

(٣) في تاريخ الطبري والمنتظم لابن الجوزي والوفيات « قصر الرُصافة »
 وهو الصحيح ، وقد ورد ذكر هذا القصر في حوادث سنة « ٢٥٥ » من تاريخ
 الطبري أيضا قال : « وكانت أم محمد بن الواثق توفيت قبل أن يبايع وكانت تحت
 المستعين فلما قتل المستعين صَيَّرَهَا المعتز في قصر الرصافة الذي فيه الحرم » .
 وقال ابن واضح اليعقوبي في كتاب البلدان : « والجانب الشرقي من بغداد نزله
 المهدي بن المنصور وهو ولي عهد أبيه وأبتدأ ببناءه سنة ثلاث وأربعين ومائة فاختط =

خَمْرَة مولاة المقتدر بالله

جعفر بن المعتضد

وَأُمُّ وَلَدِهِ عَيْسَى ، حَكَى عَنْهَا ابْنُ أَبْنَيْهَا الْأَمِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ
عَيْسَى حِكَايَةً ، أَخْبَرَنِي بِهَا الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ عَنْ أَبِي الْفَرَجِ
[عَبْدِ الْمَنَعَمِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ] الْحَرَّانِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ :
سَمِعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَيْسَى الْمَقْتَدِرَ بِاللَّهِ قَالَ أَخْبَرْتَنِي وَالِدَتِي
(٣٦١) خَمْرَة جَارِيَةَ الْمَقْتَدِرِ بِاللَّهِ قَالَتْ : اسْتَدْعَى الْمَقْتَدِرُ بِالْجَوَاهِرِ^(١) فَاخْتَارَ مِنْهَا
مِائَةَ حَبَّةٍ ، مِنْهَا خَمْسُونَ « مُدَخَّرَج » وَنَظَمَهَا سُبَّةٌ يُسَبِّحُ بِهَا ،

=المهديّ قصره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع الذي في الرصافة ...» . «ص ١٩»
ثم قال : « وتنقسم طرق الجانب الشرقي وهو عسكر المهدي خمسة أقسام فطريق
مستقيم إلى الرصافة [وهو] الذي فيه قصر المهدي والمسجد الجامع » . وذكره مؤلف
مختصر مناقب بغداد قال - ص ٢٦ - : « ثم سوق الرصافة عظيمة جامعة ثم
شارع الترب وقصر المهدي وجامع الرصافة . . . » ، وقال الخطيب البغدادي في
تاريخ بغداد - ج ١ ص ٨٢ - : « لما بنى المهدي قصره بالرصافة دخل يطوف
فيه . . . » وقال أحمد بن يحيى ثعلب : « ورأيت المأمون لما قدم من خراسان في
سنة ٢٠٤ وقد خرج من باب الحديد وهو يريد قصر الرصافة » « معجم البلدان
١ : ١٣٤ » ، وقال يحيى بن علي بن المنجم : « قال لي أبي : صرت إلى المستعين
لما صير به إلى قصر الرصافة » . « ٥ : ٤٧٥ » ، وقال مروان بن أبي حفصة : « دخلت
على المهدي في قصره بالرصافة » ، « الأغاني ١٠ : ٨٨ » ، وذكر ابن النجار أن
الأمير عبد الواحد بن المقتدر توفي في قصر الرصافة سنة ٣٣٢ « نسخة المكتبة
الظاهرية بدمشق ، الورقة ٨٣٠ »

(١) في الأصل « استدعى الجواهر وهو خطأ » .

فَعَرَضَتْ عَلَى الْجَوْهَرِيِّينَ ، فَقَوَّموها كُلَّ واحدة منها ألفَ دينارٍ وأَكْثَرَ ،
فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسَبِّحَ اسْتَدْعَى بِهَا ، ثُمَّ يَرُدُّهَا إِلَى فَأَعْلَقَهَا فِي الْخِزَانَةِ
فِي خَرِيطَةٍ فَلَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ وَوَقَعَ النِّهْبُ فَأُخِذَتْ^(١) فِي جُمْلَةٍ مَا أُخِذَ ،
فَلَعَلَ الَّذِي أَخَذَهَا لَا يَدْرِي مَا هِيَ .

ذَكَرَ هِلَالُ بْنُ مُحَسِّنِ الْكَاتِبِ فِي تَارِيخِهِ^(٢) أَنَّ خَمْرَةَ جَارِيَةَ الْمُقْتَدِرِ
تُوفِّيَتْ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ
وِثْلًا ثَمَانِيَةً ، وَنُقِلَ مَعَهَا تَابُوتُ أَبْنَيْهَا^(٣) عَيْسَى فِدُنَا بِالتُّرْبِ الشَّرِيفَةِ^(٤)

(١) هَكَذَا وَرَدَ فِي الْأَصْلِ بزيادة الفاء في جواب « لما » وهو كثير في كلامهم على سبيل التوهم .

(٢) لَمْ يَذْكُرْ هَذَا الْخَبْرَ فِي الْمَطْبُوعِ مِنْهُ الْمَلْحَقُ بِتَارِيخِ الْوُزَرَاءِ لِابْنِ الصَّامِي
هِلَالُ الْمَذْكُورِ ، فَهُوَ نَاقِصٌ يُؤَرِّخُ مِنْ سَنَةِ ٣٨٩ إِلَى سَنَةِ ٣٩٣ فَقَطْ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « أَبِيهَا » وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

(٤) تَقْدِمُ فِي تَرْجُمَةِ السَّيِّدَةِ « ضَرَارُ وَالِدَةِ الْمُعْتَصِدِ » ص ١٠٤ « أَنَّهَا
دَفِنَتْ بِتَرْبِ الرِّصَافَةِ ، قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي رِحْلَتِهِ - ص ٢٢٩ - : « وَبِالرِّصَافَةِ تَرْبَةُ
الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ » ، وَقَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي كَلَامِهِ عَلَى رِصَافَةِ بَغْدَادَ : « وَخَرِبَتْ
تِلْكَ النُّوَاحِي كُلُّهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجَامِعُ وَبِلِصْقِهِ مَقَابِرُ الْخُلَفَاءِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَعَلَيْهِمْ
وَقُوفٌ وَفَرَاشُونَ بِرِسْمِ الْخِدْمَةِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَخَرِبَتْ » ثُمَّ قَالَ : « وَبِرِصَافَةِ بَغْدَادَ مَقَابِرُ
جَمَاعَةِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَعَلَيْهِمْ تَرْبَةٌ عَظِيمَةٌ بِعِمَارَةٍ هَائِلَةٍ الْمَنْظَرِ ، عَلَيْهَا
هَيْبَةٌ وَجَلَالَةٌ إِذَا رَأَاهَا الرَّائِي خَشَعَ قَلْبُهُ ، وَعَلَيْهَا وَقُوفٌ وَخُدَمٌ مَرْتَبُونَ لِلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهَا
وَبِهَا مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاضِي بْنِ الْمُقْتَدِرِ وَهُوَ فِي قَبَّةٍ مَفْرَدَةٍ فِي ظَاهِرِ سَوْرِ الرِّصَافَةِ ،
وَحَدَّهُ ، وَفِي التَّرْبَةِ قَبْرُ الْمُسْتَكْنَى وَالْمَطِيعِ وَالطَّائِعِ وَالْقَادِرِ وَالْقَائِمِ وَالْمُقْتَدِيِ وَالْمُسْتَظْهَرِ
وَالْمُقْتَنَى وَالْمُسْتَنْجِدِ . . . » . وَقَدْ أَحْرَقَتْ هَذِهِ التَّرْبَةُ أَوْ التُّرْبُ عِنْدَ احْتِلَالِ
هَوَلَاكُو الْمَغُولِ لِبَغْدَادَ سَنَةَ « ٦٥٦ » . وَلَمَّا شَاهَدَ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ
الْكُوفِيُّ الْوَاعِظُ تَرْبَ الرِّصَافَةِ الْمَذْكُورَةَ وَقَدْ نَبَشَتْ قُبُورَ الْخُلَفَاءِ ، وَأَحْرَقَتْ تِلْكَ
الْأَمَاكِنَ وَأَبْرَزَتْ الْعِظَامَ وَالرُّؤُوسَ كَتَبَ عَلَى بَعْضِ حَيْطَانِهَا :

بالرُصافة ، وكانت كثيرة البرِّ والمعروف والعطاء للفقراء والمحاويج وأهل
(٣٧ظ) الاستحقاق وذوى الحاجات وأهل البيوتات .

عَصْمَةُ^(١) خاتون بنت مَلِكْشاه

ابن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وكانت رئيسة
جليلة ، من أعقل النساء وأشدّهن حَزْماً وسَدَاداً . تزوجها الإمام
المُستظهر بالله — رضى الله عنه — وهى بأصبهان فى سنة اثنتين وخمسمائة ،
وجاءت إلى بغداد وسكنت بدار الخلافة ودخل بها وولدت له أبا إسحاق
إبراهيم فى ثانى شعبان سنة خمس وخمسمائة ، وتُوفى بألجدرى فى جمادى
الأولى من سنة ثمان وخمسمائة ودفن فى تربة الإمام المقتدر بالله بالرصافة
إلى جنب عمّه جعفر^(٢) بن المقتدى . ثم إن عصمة خاتون عادت إلى

= إن تُرد عبْرَةٌ فتلك بنو العباس حلت عليهم الآفات
أُستبيح الحريم إذ قُتل الأحياء منهم وأُحرق الأموات
« كتاب الحوادث ص ٣٣٧ » طبعة المعلق على هذا الكتاب مصطفى جواد
(١) أخبارها فى المنتظم « ٩ ١٥٩ ، ١٦٥ ، ٢٤٥ » . و « ١٠ : ٢ ،
٢٧ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ١٠٠ » ومراة الزمان لسبط بن الجوزى « مختصر الجزء الثامن
٢٧ ، ٣٤ ، ١١١ ، ١٤١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ » والكامل فى حوادث سنة « ٥٠٢ »
وغيرها ، وسيدات البلاط العباسى « ص ١٤٦ » ، والظاهر أن المؤلف سيكّرر
ترجمتها باختصار باسم « خاتون زوجة المستظهر » ، ولها ذكر فى النجوم الزاهرة
« ٣٢٣ ٥ » .

(٢) كنيته أبو الفضل وسيأتى ذكره وذكر والدته « ماه ملك بنت ملكشاه
السلجوقية » فى الترجمة الآتية التالية لهذه ، وورد ذكره فى المنتظم « ٩ : ٣٨ ، ٤٧ ،
٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٧ » والكامل فى حوادث سنة « ٤٨٢ » وسنة « ٤٨٧ » وهى =

أصبهان بعد وفاة الإمام المستظهر ، وتوفيت ودُفنت في مدرستها التي
بشارع سوق العسكر ، وليس في الدنيا مدرسة أكبر منها ، وكانت قد
وقفتها على أصحاب الإمام أبي حنيفة — رحمة الله عليه — وبلغني أنها قد [٣٧]
خربت في يومنا هذا وليس لها باب ولا يمكن سكنها .

ماه مَلِك^(١) بنت السلطان ملكشاه

ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق . خطبها
الإمام المقتدى بأمر الله ، وتقدَّأبا نصر^(٢) بن جَهير في الخطبة إلى والدها

=سنة وفاته ، وقد ذكر ابن الأثير أن المحلة الجعفرية ببغداد الشرقية نسبت إليه ، وتعرف
هذه المحلة اليوم ببغداد باسم « محلة قنبر على وتحت التكية »
(١) لم أجد اسمها في غير هذا الكتاب ، وأخبارها في المنتظم « ٩ : ٢ ،
٣٦ ، ٤٤ ، ٤٧ » والكامل في حوادث سنة « ٤٧٤ » وسنة « ٤٨٠ » وسنة « ٤٨١ »
وسنة « ٤٨٢ » وهي سنة وفاتها بأصبهان ، ولها ذكر في النجوم الزاهرة « ٥ : ٢٠٠ »
وأما تركان خاتون الآتي ذكرها

(٢) ذكر ذلك أيضا عماد الدين الأصفهاني في أخبار الدولة السلجوقية « ص ٦٧
طبعة القاهرة » . هو أبو نصر محمد بن محمد التغلبي الوزير الخطير الشهير .
ترجمته في الوفيات « ٢ : ١٧٩ طبعة بلاد العجم » ، والوفاء بالوفيات ج ١ : ٢٧٢ «
والمنتظم « ٩ : ٥٤ وغيرها » والكامل في سنة « ٤٨٣ » وهي سنة وفاته وفي غيرها مع
الحوادث ، والتاريخ الفخرى « ص ٢١٨ » وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى
الجزء الرابع ، الورقة ٣٣٨ من نسخة المتحف العراقى المصورة « والنجوم الزاهرة
« ٥ : ١٣٣ » والشذرات « ٣ : ٣٦٩ » وأشار إليه السمعاني في « الجهيري » من
الأنساب ، وقال ابن خلكان : وجهير بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة
من تحتها وبعدها راء ، وقال السمعاني : بضم الجيم وهو غلط . . . قال
مصطفى جواد محقق هذا الكتاب ، إن الوارد في الأنساب في « الجهيري » أنه بفتح
الجيم وكذلك ما في مختصره « الباب » لابن الأثير ، فالظاهر أن النسخة التي =

وهو بأصبهان في شوال سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، فأجاب إلى ذلك ،
وعقد العقدُ هناك ، ونُقلَ جهازُها إلى بغداد على مائة وأربعين جَمَلًا^(١) ،
ومائة بغل . ودخلت بغداد في ذي الحجة سنة تسع وسبعين [وأربعمائة]
(٢٣٨) وزُفَّت إلى الخليفة في صفر سنة ثمانين ، ودخلت به ، وولدت له جعفرًا
في رابع ذي القعدة من السنة ثم إنه أعرض عنها ، فطلبت العودَ إلى
بلادها ، فأذن لها ، فخرجت من بغداد في سادس عشر شهر ربيع الأول
من سنة اثنتين وثمانين متوجهة إلى خراسان ومعها ابنها الأمير أبو الفضل
جعفر ، فوصل الخبر بموتها إلى بغداد . ودخل والدها السلطان ملكشاه
بغداد في شهر رمضان سنة خمس وثمانين [وأربعمائة] مريضاً ، ومعه
سبطه الأمير أبو الفضل جعفر بن الإمام المقتدى بأمر الله ، فأقام ملكشاه
أياماً ، وتوفي في النصف من شوال من السنة ، وأُعيد الأمير أبو الفضل
إلى دار الخلافة ، فأقام بها إلى أن توفي في الثالث والعشرين من جمادى
(٢٣٨) الأولى سنة ست وثمانين وأربعمائة ، ودفن بالتُّرب الشريفة بالرصافة .

خاتون زوجة الإمام المستظهر بالله

كانت حظيةً عنده . توفيت في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ،

=وقعت إلى ابن خلكان قد تصحف فيها « بفتح » إلى « بضم » لتقارب صورتيهما
إلا أن قول السمعاني « وكسر الهاء » ينفي أن ينسب إليه أنه قال « بضم الجيم »
نفيًا باتًا .

(١) في الأصل « أربعمائة جمل وأربعين جملًا » والتصحيح من الكامل .

وكانت دارها حَمَى، ولها ولأصحابها الهيبة العظيمة .

بَنَفْشَا^(١) بنت عبد الله الرُّومِيَّة

مولاة الإمام المستضيء بأمر الله - رضى الله عنه - . كانت من خواصه وسَرَارِيَّة، لها المسكنة الرفيعة عنده، والمنزلة العالية، والحكم النافذ، والأمر والنهى، وكانت صالحة، كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، كثيرة الصدقة والبر، جَعَلَتْ دارها^(٢) بأسفل البلد على شاطئ دجلة مدرسة، وَوَقَفَتْها على الحنابلة، ووقفت عليها

(١) مختصر الجزء الثامن من مرآة الزمان « ص ١٩٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٤٣٨ ، ٥١٠ » والكامل فى سنة « ٥٩٨ » وهى سنة وفاتها ، والمنتظم « ١٠ : ١٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ » والتكملة لوفيات النقلة تأليف زكى الدين عبد العظيم المنذرى المصرى « نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة ، الورقة ٢٩ » وتاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٠ » والجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٨٨ ، ١٣٦ » ومجلة المجمع العلى العربى « ج ١٨ ص ٤٧٠ » وذيل الروضتين لأبى شامة « ص ٢٧ ، ٢٩ » وسيدات البلاط العباسى « ص ١٦٣ » ولها ذكر فى نكت الهميان فى نكت العميان للصفيدي ص ٩٣ . والحوادث « ص ١٣٢ » وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٣٤٠ طبعة القاهرة » .

(٢) ورد ذكر هذه الدار فى المنتظم « ١٠ : ١٢٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ » ومختصر مرآة الزمان « ٨ : ١٩٥ ، ٣٢٦ » وذكرها ابن جبير فى رحلته « ص ٢٢٠ » ظاناً أنها دار أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى مع أنها مدرسة بنفشى المذكورة وكان يسكن فيها لأنه كان مدرستها يومئذ أى سنة « ٥٨٠ » هـ وتعرف أيضاً بالمدرسة الشاطئية كما جاء بخط ابن الجوزى المذكور فى كتاب « الأنساب المتفقة فى الخط المتماثلة فى النقط والضبط » لمحمد بن طاهر المقدسى « ص ١٣ من المقدمة طبعة ليدن » ، وكتاب « الحوادث ص ٨٧ » والوفى بالوفيات « نسخة دار الكتب =

[٨ ظ] وقوفاً ، وبنت قنطرةً على نهر عيسى^(١) ، وعقدت جسراً على دجلة ، وبني لها الإمام المستضيء بأمر الله داراً^(٢) مجاورة لباب الغربية^(٣) الشريف^(٤)

=الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٠٢. وقد جاء ذكرها في تصديرنا لكتاب «تكملة إكمال الإكمال» لجمال الدين محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابئني «ص ١٦» .
(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : «نهر عيسى بن علي بن عبد الله ابن العباس ومأخذه من الفرات عند قنطرة دمساً ثم يمر فيسقي طسوج فيروز سابور حتى ينتهي إلى المحول ثم تتفرع منه أنهار تتخرق مدينة السلام ثم يمر بالياسرية ثم قنطرة الرومية وقنطرة الزياتين وقنطرة الأشنان وقنطرة الشوك وقنطرة الرمان وقنطرة المغيض عند الأرحاء ثم قنطرة البستان ثم قنطرة المعبدى ثم قنطرة بني زريق ثم يصب في دجلة عند قصر عيسى ، وكان عند كل قنطرة سوق تعرف بها والآن [٦٢٦ هـ] ليس من ذلك غير قنطرة الزياتين وقنطرة البستان وتعرف بقنطرة المحدثين وهو نهر عليه متزهات وبساتين كثيرة وقد قالت الشعراء فيه فأكثر وا وأكثر هذا مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادي « ١ : ١١١ » وأكثر ما في تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب أنهار العراق لابن سرافيون « ص ١٤ » وأعلى هذا النهر كان يسمى « نهر الرُقَيْل » وفي مادة « نهر الرُقَيْل » من مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن البغدادي زيادة إيضاح لنهر عيسى . ومحلة نهر عيسى اليوم تسمى « محلة السوق الحديد » في الجانب الغربي من بغداد . وآخر النهر كان يسمى « المسعودي » إلى آخر أيام الحكم العثماني ببغداد .

(٢) قلت : تسمى « دار سوق التمر » قال ياقوت الحموي : « دار سوق التمر : وهي الدار التي قرب باب الغربية من مشرعة الإبريتين ، ذات الباب العالي جداً وهو الآن مسدود وتعرف بالدار القطنية » . وفي مراصد الاطلاع « دار سوق التمر هي الدار المتصلة بباب الغربية ومن الجهة الأخرى بالبدرية وهي دار عظيمة من دار الخلافة مشرفة على مشرعة الإبريتين لها باب عال ودركاه في صدر المخلطين » . وذكرها مؤلف الحوادث في ترجمة الأمير قشتمر الناصري قال : « ونقله الناصر إلى الدار المنسوبة إلى بنفسا مجاورة باب الغربية » . « ص ١٣٢ » وقد هنا المستضيء بافتتاحها شاعر عصره محمد بن عبيد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي بقصيدة مذكورة في ديوانه « ص ٤٥٢ » .

(٣) كان أحد أبواب دار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي من بغداد ، وكان أعلى الأبواب « راجع مادة الحريم » من معجم البلدان و « الغربي » من أنساب السمعاني .
(٤) في الأصل « الشريفة » والباب مذكر عند الفصحاء .

على شاطئ دجلة ، فجاءت عالية البناء ، واسعة الفناء ، تشتمل على مقاصير وحجرات ومناظر ومُتَنَزَّهات^(١) ، ويجاور هذه الدار أربعة دواليب^(٢) تستقي^(٣) الماء من دجلة إلى دار الخلافة المعظّمة ، كل واحد منها أعلى من الآخر ، فيأخذ الأول من دجلة ، والثاني من الأول ، والثالث^(٤) من الثاني ، والرابع من الثالث . ولما تَمَّتْ هذه الدار أمرت بإنشاء جسر جديد يُنصب بين يدي هذه الدار إلى باب الرّقّة^(٥) بالجانب الغربي ، فصار ذلك فرجة الأنام ، ومتنزه الخاص والعام أُشِيدَتْ لِبعض الشعراء :

[٣٩]

لَيْسَ شَيْءٌ يُشَاكِلُ الْحُسْنَ فِي الْجِدِّ مَرٍ وَمَا إِنَّ لِحُسْنِهِ مِنْ مُوَازِيْ
دِجْلَةٍ تَحْتَهُ كَمَثَلِ بَسَاطٍ أَزْرَقٍ مُعْلَمٍ بِنَمْرُودٍ طِرَازٍ
وتكامل بناء هذه الدار ، وتَمَّتْ عمارتها في سنة تسع وستين وخمسة ، وبنت مسجداً^(٦) كبيراً بسوق الخبازين^(٦) قريباً من العقد الحديد .

(١) في الأصل « مستنزهات » .

(٢) في الأصل « أربع » .

(٣) في الأصل « تسقى » .

(٤) في الأصل « والثاني من الثالث »

(٥) وهي بستان الخلفاء على دجلة مقابل دار الخلافة في الغرب « راجع

الأنساب للسمعاني في الرقي »

(٦) ذكر هذا المسجد أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٥٧٣ هـ »

قال - ج ١٠ ص ٢٧٢ - : « وأنشأ أمير المؤمنين [المستضيء بأمر الله] مسجداً

كبيراً في السوق [سوق الثلاثاء] عند عقد الحديد ، وتقدم بعمارته فعمر عمارة

فائقة ، وكسى وقدم فيه عبد الوهاب بن العيبي زوج ابنتي ، فصلى فيه بعد

النصف من شعبان وأجريت له مشاهرة ... » . وقال المؤرخ محمد بن سعيد بن

الدبيثي الواسطي في ترجمة العيبي هذا : « وأقرأ القرآن الكريم وأمّ بالناس في الصلوات =

وسمعت أنها كانت في عيد الفطر في كل سنة تُخرج زكاة الفطر صاعاً من تمر ثم تقول : هذا ما فرضه الشرع عليّ وأنا لا أقنع من مثلي بهذا . فتُخرج صاعاً من الذهب العين، وتأمر بتفرقته على الفقراء . وأعتقت خلقاً من الموالي : الجوارى والمماليك . توفيت يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وصُلِّيَ عليها بعد صلاة العصر بصحن السلام من دار الخلافة وُحِمِلَتْ في الماء إلى الجانب الغربي فصُلِّيَ (٣٩ظ) عليها بباب تربة الجهة السعيدة والدة^(١) الإمام الناصر لدين الله - رضى الله عنه - المجاورة لمعروف الكرخي - رحمة الله عليه - ثم دفنت

=بالمسجد الذي أنشأته بنفسها عند عقد الحديد . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٥٦ » . وقال ابن النجار في ترجمته : « وكان يصلي إماماً بالمسجد الحديد بسوق الجبازين عند عقد الحديد . » « نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق . الورقة ٦٠ » وورد مثل هذا القول في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٨٨ طبعة القاهرة » . والظاهر أن سوق الجبازين كان مجاوراً لدرب الجبازين الوارد ذكره في منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ٧٤ » ويعرف اليوم بدرب العاقولية بشرقي بغداد . ويعرف بسوق الحيدرخانة ، ولعل المسجد المذكور هو أصل مسجد الحيدرخانة الحالي في السوق المذكورة .

(١) هي زمرد خاتون ، والظاهر أن المؤلف ذكرها في كتاب « أخبار من أدركت خلافة ولدها » ولها ترجمة في الكامل في حوادث سنة « ٥٩٩ » وهي سنة وفاتها ، وفي مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٥١٣ » وذيل الروضتين « ص ٣٣ » وتاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٧ » وامتكملة لوفيات النقلة « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة . الورقة ٤٠ » ، « الوافي بالوفيات » نسخة دار الكتب بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٨٥ ، وتربتها لا تزال قائمة بجوار تربة معروف الكرخي وتعرف بالست زبيدة ، وذكر هندوشاه الصباحي في تاريخه « تجارب السلف » بالفارسية أنها حجت سنة ٥٨٥ « ص ٣٢١ » .

داخل التُّربة المذكورة ، وذلك قبل وفاة صاحبة التُّربة أم الإمام
الناصر لدين الله - رضى الله عنهما - .

شَرَف * خاتون التركية

عَتِيقَةُ الإمام المستضىء بأمر الله - رضى الله عنه - ، وأمُّ ولده
الأمير أبي منصور هاشم ، كانت امرأةً صالحة ، تُوفى مَولاهَا الإمام
المستضىء بأمر الله وهى فى الحياة ثم ولدها الأمير أبو منصور وعاشت
بعده مدَّةً طويلةً ، وتوفيت عشية الثلاثاء تاسع عشر رجب من سنة ثمان (٤٠٠هـ)
وستمئة ، وصلى عليها يوم الأربعاء بصحن السلام ، ودُفنت بِتُرْب الرُّصَافَةِ
- رحمها الله - .

سَلْجُوقِي^(١) خاتون

بنت السلطان قَلِج أرسلان بن مسعود ملك الروم ، زوجة الإمام
الناصر لدين الله - رضى الله عنه - ، قَدِمَت بغداد طالبةً لِلْحَجِّ فى

* لم أقف لها على ذكر فى كتاب آخر .

(١) عرفت بالأخلاقية والخلاطية ، ذكرها ابن الأثير فى حوادث سنة
« ٥٨٤ » وهى سنة وفاتها باسم « سلجوق خاتون » وذكرت فى مختصر مرآة الزمان
« ج ٨ ص ٦٨٧ » ، وجاء ذكرها فى تاريخ الإسلام للذهبى باسم « سلجوق خاتون »
كما فى نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٥ « وكذلك فى الوافى
بالوفيات » نسخة دار الكتب المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ١٥٣ « وجاء فى ديوان سبط

مَوْسِمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَحَجَّتْ وَعَادَتْ إِلَى بَلَدِهَا سَنَةً ثَمَانِينَ
 وَخَمْسِمِائَةٍ فَأَقَامَتْ هُنَاكَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ خَطَبَهَا الْإِمَامُ النَّاصِرُ
 لَدَيْنَ اللَّهِ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - فَرُوجَتْ مِنْهُ ، وَأَتَقَدَّ إِلَيْهَا مِنْ ^(١) جَاءَ
 بِهَا ، وَدَخَلَ بِهَا وَأَعْطَاهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَتَحَفَ الْخُلَفَاءَ وَالْمُلُوكَ
 مَا لَا تُعْرِفُ قِيَمَتُهُ ، وَصَادَفَتْ مِنْهُ قَبُولًا عَظِيمًا ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ مُدَّةَ
 يَسِيرَةٍ فِي أَرْغَدٍ عَيْشٍ وَأَصْفَاءٍ ثُمَّ عَاجَلَهَا رَيْبُ الْمُنُونِ فَاسْتُلِبَتْ مِنْ
 غَضَارَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَلَحِقَتْ بِالْعَابِرِينَ ^(٢) . وَوَجَدَ النَّاصِرُ لَدَيْنَ اللَّهِ مِنَ
 الْحُزْنِ عَلَيْهَا وَالْأَسَفِ عَلَى فِرَاقِهَا مَا مَنَعَهُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ أَيَّامًا ،
 وَتُرِكَتْ دَارُهَا ^(٣) بِجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَقْمِشَةِ وَالْأَثَاثِ عَلَى حَالِهَا سِنِينَ
 عَدِيدَةً لَا تُفْتَحُ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا شَيْءٌ .

=ابن التعاويذي - ص ٢٢٢- « قال يرثي الجهة الشريفة سلجوكي خاتون ابنة
 السلطان قلع أرسلان بن مسعود نور الله ضريحهما » . يقول فيها :
 فيا قبر ما بين الصراة ودجلة إلى نهر عيسى جادك الغيث من قبر
 وذكرها ابن جبير في رحلته وكان قد حج بيت الله الحرام في سنة حجها إياه .
 ص ١٨٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، وهند وشاه الصاجي في تاريخه « تجارب السلف »
 بالفارسية « ص ٣٢١ » وقد ذكر ثلاثة أبيات من مراثية سبط ابن التعاويذي لها .
 (١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام « ومضى لإحضارها الحافظ يوسف
 ابن أحمد » ثم ذكر ترجمة هذا الحافظ الشيرازي الأصل الصوفي المذهب في وفيات
 سنة ٥٨٥ « الورقة ٢٥ » وذكر الخبر الأول الصفدي في الوافي بالوفيات .
 (٢) هذا هو الصواب وإن جاز بالغين المعجمة على سبيل الأضداد وهو
 من قولهم « عَبَرَ فلان أي مات ، وضده « غَبَرَ أي بقي » .
 (٣) قال علي بن أبي الفرج البصري في « المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية » :
 وما يروى عن الناصر أنه لما توفيت خاتون بنت أرسلان الخلاطية أغلق الموضع الذي
 كانت تسكنه وفيه آلات الذهب والفضة » . « نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد
 ٥٧٦٢ الورقة ١٤٣ » .

وكانت قد اختارت أن تُنشىء تربةً إلى جانب مشهد^(١) عَوْن ومُعِين
وَلَدَيَّ عَلِيٍّ - عليه السلام - بالجانب الغربى في مَشْرَعَةِ الكَرْخ
لِتُدْفَن فيها إذا ماتت فَشُرِعَ في بنائها، فلم تَصْعَد حيطانها قامة حتى
أدركها أَجْلُها فدُفِنَتْ^(٢) فيها وتُتِمَّ بناؤها، وَوُقِفَتْ فيها خِزانة^(٣) من

(١) قال ابن جبير في رحلته في وصف الجانب الغربى من بغداد : ، وفي
الطريق إلى باب البصرة مشهد حنبل البنيان ، متسع السنام عليه مكتوب (هذا
قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه) . وقال
سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان في تعداد أبنية الخليفة الناصر لدين الله « ذكر
عماراته : رباط الأخلاطية والتربة . . . وتربة عون ومعين عند تربة الاخلاطية »
« مختصر ج ٨ ص ٦٣٧ » . وأخطأ الصلاح الصفدى فنسب عمارات الناصر ومنها
مشهد عون ومعين إلى ابنه محمد الظاهر « نكت الهميان ص ٢٣٨ » . والوافى
بالوفيات « ٩٥ : ٢ » وذكر هذا المشهد في معجم الأدباء لياقوت « ٦ : ٢٣٠ »
والجامع المختصر « ٩ : ٢٥٩ ، ٣٩٥ » وغيرهما .

(٢) قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٨٤ من الكامل : « وبني الناصر على
قبرها تربة بالجانب الغربى وإلى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة » وذكر سبط
ابن الجوزى أن الناصر لدين الله ولى الشيخ عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى المظالم
وتربة الخلاطية فما ولاه . « مخ ج ٨ ص ٤٥٤ » وذكر هذه التربة « نيبور » السائح
الدانمركى في رحلته وقد دخل بغداد سنة ١٧٦٦م = ١١٨٠هـ وكان اسمها قد عفا
من تربتها وبقي فيها ما نصه . . . الملك العادل قليج أرسلان بن الملك مسعود
ابن العادل قليج أرسلان من طائفة سلجوق وذلك سنة أربع وثمانين وخمسمائة « وهى
سنة وفاتها كما قدمنا . « رحلة نيبور ج ٢ ص ٢٤٤ من النسخة الفرنسية » وقد ظن
هذا الرحالة أنها من إنشاء قليج أرسلان ! ! وقد جرفت دجلة التربة والرباط الآتى
ذكره قبل زهاء مائة سنة ، وهذا الموضع يسمى اليوم شريعة الخضر إلياس في محلة
الجعيفر ، وقد فصلنا الكلام على هذه التربة والرباط المذكور بعدها في مجلة سومر
« مج ١٠ ج ٢ ص ٢٣٤ » .

(٣) قال كمال الدين عمر بن العديم الحلبي صاحب دفع التجوى عن
أبى العلاء المعرى في ترجمة « الأعسر بن مُهَارِش الكلابى » : « قرأت الحكاية في
مجموع عتيق مكتوب في أيام سيف الدولة أو قريب من عصره وشاهدتها في المجموع =

(١٤١) الكتب النفيسة ، تُعَارُ لِمَنْ طَلَبَهَا بِالرَّهْنِ ، وَأُنْشَأَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى جَانِبِ تَرْبَتِهَا رِبَاطاً^(١) مَلِيحَ الْبِنَاءِ ، وَاسِعَ الْفَنَاءِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى الصُّوفِيَّةِ ، وَغَرَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ بُسْتَاناً أُنَيْقاً يُشْرِفُ عَلَى دَجَلَةٍ وَيُسْقَى بِدَوْلَابٍ مِنْ مَائِهَا ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَعَلَى تَرْبَتِهَا أَوْقَافاً كَثِيرَةً ، غَزِيرَةً النُّمُوِّ وَالذَّخْلِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُحَجَّ عَنْهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَيُخْرَجَ مِنْ الصَّدَقَاتِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَاءِ وَالزَّادِ وَالْكُسُوفَةِ وَالنِّعَالِ وَأَدْوِيَةِ الْمَرَضَى ، وَيُحَجَّ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ .

قَرَأْتُ بِخَطِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ^(٢) : تَوَفَّيْتُ سَلْجُوقِي خَاتُونَ زَوْجَةَ الْخَلِيفَةِ فِي لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا فِي التَّاجِ ، وَقُعِدَ لَهَا فِي الْعَزَاءِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي تَرْبَتِهَا ،

= عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي أَذْكَرَهَا بِخَطِ بَعْضِ الْأَخْبَارِيِّينَ فِي جُزْءٍ وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي وَقْفِ الْإِمَامِ النَّاصِرِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بِالْخِلَاطِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِبَغْدَادَ . « بَغْيَةُ الطَّلَبِ فِي تَارِيخِ حَلَبَ » ، نَسَخَةٌ دَارِ الْكُتُبِ الْوُطْنِيَّةِ بِبَارِيسَ ٢١٣٨ الْوَرَقَةُ ١٧٠ « وَقَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي تَرْجُمَةِ عَلِيِّ بْنِ فَضَالٍ إِنَّ لَهُ « كِتَابَ الدُّوَلِ فِي التَّارِيخِ » رَأَيْتُ فِي الْوَقْفِ السَّلْجُوقِيِّ بِبَغْدَادَ مِنْهُ ثَلَاثِينَ مَجْلَداً وَيَعُوزُهُ شَيْءٌ آخَرُ » .

(١) ذَكَرَ الْقَفْطِيُّ أَنَّ الَّذِي اخْتَارَ الْكُتُبَ لِهَذَا الرِّبَاطِ هُوَ بَرَهَانُ الدِّينِ أَبُو الرَّشِيدِ مَبْشَرُ بْنُ أَحْمَدَ الرَّازِي الْبَغْدَادِيُّ « تَارِيخُ الْحُكَمَاءِ » ص ١٧٧ « وَقَدْ فَصَّلْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَا الرِّبَاطِ فِي مَجْلَةِ سَوْمَرِ » مَج ١٠ ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْخَبَرَ فِي تَارِيخِهِ « الْمُنْتَظَمِ » وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَوْجَدَ فِيهِ لِأَنَّهُ انْتَهَى بِسَنَةِ « ٥٧٤ » ، قَالَ سَبْطَةُ فِي مِرْآةِ الزَّمَانِ فِي حَوَادِثِ هَذِهِ السَّنَةِ « انْتَهَى تَارِيخُ جَدِّي الْمُسَمَّى بِالْمُنْتَظَمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَهُ تَارِيخٌ صَغِيرٌ سَمَاهُ (دَرَّةُ الْإِكْلِيلِ) ذِيلٌ فِيهِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى أَنْ حُمِلَ إِلَى وَاسِطٍ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَقْصِ الْحَوَادِثَ . . . » . « مَخ ج ٨ ص ٣٥٣ » . فَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ دَرَّةِ الْإِكْلِيلِ .

وحضر الوزير والأكابر والأمراء والعلماء، وقعدوا ليالى الجمع والأثانين،
وفُرق مال، وأثر موتها فى دار الخليفة أثراً عظيماً، رحمها الله.

شَاهَان^(١) مولاة الإمام استنصر بالله

أبى جعفر المنصور - قدس الله روحه - ، كانت جارية رومية على
ملك ختاختون^(٢) بنت الأمير سُقُر الطويل الناصرى زوجة الأمير
جمال الدين بكلك^(٣) الناصرى. اعتنت بتأديبها وتربيتها، وشملتها

(١) لم أجد لها ذكراً فى كتب التاريخ والأدب التى وصلت إليها يدى ،
سوى كتاب « العسجد المسبوك فى تاريخ دولة الإسلام والملوك » لعلى بن الحسن
الخزرجى قال فى حوادث سنة « ٦٥٢ هـ » : « وماتت الجهة شاهان حظية الإمام
المستنصر بالله، وكان لها عنده المذلة الرفيعة والمقام الذى لا يصل إليه غيرها، وكان
لها باب وديوان ووكلاء، وحكمت فى الديوان وأقطعت القرى والعقارات السنية .
قال ابن الخازن: عمل صاحب ديوانها حسبة شهرية لما أطلق فيه إلى الباكورة والنزرا كشة
والصاغة والتجار والبزازين والجوهرين وأرباب الصنائع على اختلاف صنائعهم،
فى وجوه البر والصدقات ما يزيد على مائة ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ونيف
وستين درهماً . وكانت وفاتها فى شوال من السنة المذكورة ، وصلى عليها الوزير
[مؤيد الدين محمد بن العلقمى] وكافة أرباب الدولة وحملت إلى الرصافة » .

« نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة ، الورقة ١٨٣ »

(٢) ورد ذكرها فى الجامع المختصر « ٩ : ٢٨ ، ٤٦ ، ١١٠ ، ١٢١ ،
٢٧٥ » أمها قطر الندى بنت عبد الله التركية، وسيدكرها المؤلف فى أثناء كلامه
على سيرة « شاهان » .

(٣) الظاهر أنه تزوجها بعد وفاة زوجها الأول علم الدين قزل المتوفى سنة
« ٦٠٥ هـ » . « الجامع المختصر ٩ : ٤٦ ، ٢٧٥ » وتلخيص معجم الألقاب
« نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ج ٤ و ٦٨ » ، أما زوجها بكلك فقد ورد ذكره فى
الجامع المختصر أيضاً « ٩ : ١١٠ » ووردت أخباره فى التاريخ الذى سميناه
« الحوادث الجامعة » استرجاحاً « ص ٤٤ ، ١١١ » ، و« نزهة الأنام فى تاريخ=

بعنايتها ، فظهرت عليها آثار السعادة ومخايل النجابة ، فلما بويع الإمام
 (٤٢ ر) المستنصر بالله أهدتها له في جملة جوار ، فحظيت عنده من يمينه وتقدمت
 وصارت لها المنزلة الرفيعة والمكانة العالية والمقام الذي لا يصل إليه غيرها
 من القرب والاختصاص ، وصار لها باب مُفرد وديوان ووكلاء ونواب
 وخدم وحاشية جميلة ، وأمرجت في الأموال تتصرف فيها على حسب
 إيثارها واختيارها ، وتأمروتنهى بآتم أمر وأنفذ حكم . حدثني بعض
 نواب ديوانها أنها عملت حِسبة شهرية لما أُطلق فيه إلى السناكرة^(١)
 والزرا كشة والصاغة والتجار والبرازين والجوهرين^(٢) وأرباب الصنائع
 على اختلاف صنائعهم مائة ألف دينار وخمسة آلاف^(٣) وثلاثمائة
 (٤٢ ظ) ونيف وستون ديناراً . وكانت كثيرة البر والمعروف والتفقد للفقراء
 والأرامل والأيتام ، دأمة الصدقات ، مائلة إلى الخير ، رغبة في فعله ،

=الإسلام» لإبراهيم بردقماق « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٧ الورقة ٢٤ »
 وشذرات الذهب « ٥ : ١٧٠ » . قتل في وقعة بين الجيش العباسي والجيش المغولي
 في شرق العراق سنة ٦٣٥ هـ وإليه نسب « قطب الدين أبو المظفر سنجر بن عبد الله
 البكلكي الملقب بزريق الذي قتله المغول في هجومهم على بغداد بقيادة هولاكو
 سنة ٦٥٦ » تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٤٠٨ من نسخة المكتبة الظاهرية .

(١) كذا وردت في الأصل ، وقد نقلناها من تاريخ الخرجي بصورة
 « الباكرة » ولم نقف على معناها ، ولعل أصلها « البنادرة جمع البندار قال ابن
 السمعاني في البندار من الأنساب « البندار ... هذه النسبة إلى من يكون مكثراً من
 شيء يشتري منه من هو أسفل منه أو أخف حالاً وأقل مالاً ثم يبيع ما يشتري
 من غيره وهذه لفظة أعجمية . . . »

(٢) في الأصل « والجوهرين » .

(٣) في الأصل « ألف » على عادتهم في الاختزال .

مُحِبَّةٌ لِأَهْلِهِ . وَلَمَّا تَوَفَّى مَوْلَاهَا الْإِمَامُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ - كَرَّمَ اللَّهُ مَشْوَاهُ
وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ - وَبُوعٌ وَلَدَهُ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامُ الْمُسْتَعَصِمُ بِاللَّهِ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَيْدَى اللَّهِ شَرِيفٌ دَوْلَتُهُ الْقَاهِرَةُ ، وَبَلَغَهُ آمَالُهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ - أَجْرَاهَا عَلَى عَادَتِهَا فِي الْإِكْرَامِ ، وَوَفَّرَ نَصِيبَهَا مِنَ التَّجِيلِ
وَالْإِعْظَامِ ، وَتَقْلَاهَا بِجَوَارِيهَا^(١) وَخَدَمِهَا ، وَأَتْبَاعِهَا وَحَشَمِهَا ، إِلَى الدَّارِ الَّتِي
نَشَأَتْ بِهَا عِنْدُسُتُّهَا ، الْمَعْرُوفَةُ بِدَارِ بَنْفَشَا ، الْمُجَاوِرَةُ لِبَابِ الْغُرْبَةِ الشَّرِيفِ .
وَقَدْ ذَكَرْتُ تَارِيخَ بِنَاءِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الْأَيَّامِ الْمُسْتَضِيَّةِ لِلْجِهَةِ بَنْفَشَا ثُمَّ فِي
الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ - سَقَى اللَّهُ عَهْدَهَا صَوْبَ الرَّحْمَةِ وَالرَّضْوَانِ - حَيْثُ (٢٤٣) ^(١)
أُنْعِمَ بِسُكْنَى هَذِهِ الدَّارِ عَلَى خَتَاخَاتُونِ^(٢) بِنْتِ سُنْقُرِ الطَّوِيلِ النَّاصِرِيِّ ،
أُضِيفَ إِلَيْهَا مَا كَانَ يَجَاوِرُهَا مِنْ الْخَلَانَاتِ وَالْدُّورِ ، وَأُنْشِئَ^(٣) فِيهَا
بَسْتَانٌ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ ، فَصَارَ يَنْعُ الثَّمَارُ ، مَلِيحُ الْأَزْهَارِ .
وَأُجْرِيتْ إِلَيْهِ الْمِيَاهُ مِنَ الدُّوَالِيبِ الَّتِي تَسْقِي بَسَاتِينَ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ ، وَيُقَابِلُ
هَذِهِ الدَّارَ بَسْتَانٌ فَاحِرٌ ، وَشَجَرٌ مُشْمَرٌ زَاهِرٌ ، وَمَنْظَرٌ عَجِيبٌ بَاهِرٌ ، فَالْجَالِسُ
فِي مَنَاظَرِ هَذِهِ الدَّارِ يُشْرِفُ عَلَى دَجَلَةٍ وَجَسَرِهَا ، فَهِيَ نَزْهَةٌ الْعَيُونِ ،
وَفَرَحَةٌ الْقُلُوبِ الْحَزُونِ ، وَرُتَّبَ لَهَا الْبَوَائِبُ وَالْفَرَاشُونَ وَالْمَشَائِيَّةُ ،
وَأَقَرَّتْ عَلَى جَمِيعِ مَا كَانَ يَصِلُ إِلَيْهَا فِي الْأَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ - سَقَى اللَّهُ (٢٤٣) ^(٣)

(١) فِي الْأَصْلِ « بِجَوَارِهَا »

(٢) تَقْدِمُ ذِكْرَهَا فِي « ص ١١٩ » مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « وَأَنْشَأَ » وَالْمَجْهُولُ أَوَّلَى بِالسِّيَاقِ .

عهودها صوب الرحمة والرضوان - من الراتب والجارى من المخزن المعمور، وجُمِلَ في بابها عدل ملازم جميع النهار، مُنفِذاً لما تأمرُ به، ومُثبتاً ما يجرى على يد الخدم المختصين بخدمتها .

وحيث قد أثبت ما شرطته من ذكر أخبار جهات الخلفاء سأُتبعهم (كذا) بمن ليس له ذكر ممن يُنسبُ إلى الأمراء والوزراء .

دولة جارية الإمام عبد الله بن المعتز بالله

روت عن مولاها . روى عنها أبو بكر^(١) بن العلاف الشيرازى النحوى . أخبرنى الحافظ أبو عبد الله البغدادى عن أبى القاسم^(٢) الأزجى

(١) هو هبة الله بن الحسن كما فى أنساب السمعاني أو « الحسين » كما فى معجم الأدباء « مختصر ج ٧ ص ٢٤٠ » قال السمعاني : « كان إماماً فاضلاً وشاعراً بارعاً . . . سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وذكره فى تاريخ نيسابور فقال : العلامة أبو بكر الفارسى المعروف بابن العلاف وكان من أفراد الزمان فى عصره فى أنواع العلوم . . . » وذكر أن وفاته كانت بشيراز سنة « ٣٧٧ » عن نيف وتسعين سنة ، وله ترجمة فى « إنباه الرواة على أنباه النحاة » للقفطى « ج ٣ ص ٣٥٨ » وبغية الوعاة للسيوطى « ص ٤٠٧ » .

(٢) هو يحيى بن أسعد بن بوش الحجاز المحدث ، قال محمد بن سعيد بن الديبى الواسطى المؤرخ كما جاء فى المختصر المحتاج إليه من تاريخه لشمس الدين الذهبى : « يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش أبو القاسم الحجاز الأزجى ، سمع الكثير بإفادة خاله على بن أسعد الحجاز ، وبورك فى عمره ، واحتيج إليه وحدث نحواً من أربعين سنة ولم يكن عنده من العلم شيء . . . توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . . . » « نسخة دار الكتب المصرية الورقة ١٢٦ » . ونقل الذهبى فى تاريخ الإسلام أكثر أقوال ابن الديبى وقال فى آخر الترجمة : « كان فقيراً قانعاً ، وربما كان يُعطى على التسبيع ، ولد سنة عشرو قيل بمان

عن أبي الرجاء أحمد بن محمد الكيساني قال : كتب إلى أبو نصر عبد الكريم
ابن محمد الشيرازي قال أنشدني القاضي أبو الفضل زيد بن علي الرازي (٤٤٠)
قال أنشدني أبو علي الحسين بن أبي القاسم الفاشاني أنشدنا أبو بكر بن العلاف
قال : أنشدتنا دولة جارية عبد الله بن المعتز . قالت أنشدنا عبد الله
ابن المعتز :

وقفتُ على الفُراتِ وليس تجري سفائهُ لنقصانِ الفُراتِ
فلما أنْ ذُكرتْكَ فاضَ دَمعي فأجراهاهُنَّ جَرى العاصِفَاتِ

حياة خاتون جارية الإمام الظاهر بأمر الله
رضي الله عنه

كانت جارية تركية الجنس ، حظية عنده ، مقربة إليه ، أم ولد له ،
عتقت بموته ، وصارت حرة . توفيت يوم الجمعة سادس صفر من سنة
تسع وثلاثين^(١) وستمائة وصلى عليها في صحن السلام ، وأخرجت من باب (٤٤٤ ظ)
البشري^(٢) وحملت إلى تربة^(٣) الإمام المستضيء بأمر الله فدُفنت هناك .

وخمسائة . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٧٤ » وله ترجمة
في مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٥٥٤ » قال السبط : « وقد سمعت منه الحديث
وكان ثقة » ، وله ترجمة في ذيل الروضتين « ص ١٢ ، ١٣ » والشذرات « ٣١٥ : ٤ »
وله ذكر في النجوم الزاهرة « ٦ : ١٤٣ » .

(١) في الأصل « ثلاث » وهو خطأ بدلالة بقائها بعد موته وعتاقها ، وهو
قد توفي سنة « ٦٢٣ » هـ .

(٢) ورد ذكره في الكتاب الذي سميناه « الحوادث الجامعة » استرجاحاً في
« ص ٥٣ ، ٩٢ » والظاهر أنه أحد أبواب دار الخلافة العباسية الشاطئية .

(٣) قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة « ٥٧٦ » من مرآة الزمان =

جَهَّةٌ تُعْرَفُ بِـ (باب جَوْهَر)

نِسْبَةً إِلَى أَحَدِ خَدَمِهَا^(١) ، كَانَتْ جَارِيَةً تَرْكِيَّةً مِنْ حِطَايَا الْإِمَامِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَيْضًا . لَهَا قَرَبٌ وَاحْتِصَاصٌ . تُوْفِيَتْ فِي حَادِي عِشْرِي الْحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَسْتَاذُ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ ، وَدُفِنَتْ بِالتُّرْبِ الشَّرِيفَةِ بِالرُّصَافَةِ .

= وفيها ابتداء الخليفة [الناصر] بعمارة تربة المستضيء المجاورة للجامع فخر الدولة [بن المطلب] وتولى عمارتها ابن الصاحب أستاذ الدار ونقل تابوته إليها ، « مختصر ج ٨ ص ٣٦٠ » وقال ياقوت الحموي في « الرصافة » من معجم البلدان : « وأما المستضيء فعليه تربة مفردة في ظاهر محلة قصر عيسى بالجانب الغربي من بغداد معروفة » . وقال ابن الدبيثي الواسطي في ترجمة المستضيء : « دفن بدار الصخر التي كان يعمل بها دعوة الصوفية كل رجب ، في إيوانها ثم نقل تابوته في ليلة النصف من شعبان سنة ست وسبعين وخمسمائة إلى الجانب الغربي فدفن بتربته المنسوبة إليه بقصر بني المأمون على دجلة بوصية منه » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٨٢ » . وجاء في حوادث سنة ٦٤٧ من كتاب الحوادث أنه في تلك السنة انشق حائط تربة الخليفة المستضيء بأمر الله فنقل من مدفنه إلى موضع في التربة المذكورة ونقل معه سبعة توابع فيها أخته عائشة المعروفة بالفيروزجية وولده أبو منصور [هاشم] وولدان للظاهر وزوجة الظاهر [حياة خاتون] ثم نقلوا في هذه السنة إلى التربة بالرصافة . « ص ٢٤٢ » .

(١) سميت « باب جوهر » على طريق الكناية ، وكان ذلك من مألوف العباسيين المتأخرين ، كباب عنبر بنت الخليفة المستنصر بالله ، « تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ٢٦٩ من باب الميم » ، وباب شير حظية المستعصم بالله العباسي « الحوادث ٢٧٥ ، ٣٠٧ » .

قَبِيحَةُ مَوْلَاةِ الْعَبَّاسِ^(١) بَنِ الْحَسَنِ

وَزِيرِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ

رَوَتْ عَنْ أَبِي بَكْرِ الْحَسَنِ^(٢) بَنِ عَلِيٍّ بَنِ أَحْمَدَ ابْنِ بَشَارٍ بَنِ (٤٥٠)
الْعَلَّافِ الشَّاعِرِ شَيْئاً مِنْ شَعْرِهِ . رَوَى عَنْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ^(٣) بَنِ
الْمُعَلَّى الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ فِي أَمَالِيهِ . قَرَأْتُ عَلَى الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيِّ
عَنْ ذَاكِرٍ^(٤) بَنِ كَامِلِ الْحَذَّاءِ عَنْ أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدٍ بَنِ فَضْلِ

(١) وَزَرَ الْعَبَّاسَ لِلْمَكْتَفَى ثُمَّ لِلْمُقْتَدِرِ . قَتَلَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ « التَّارِيخُ
الْفَخْرِيُّ ص ١٩٢ » وَتَجَارَبَ السَّلَفُ بِالْفَارْسِيَّةِ لِهَنْدٍ وَشَاهَ « ص ١٩٧ » . وَكَانَ
السَّبَبُ فِي قَتْلِهِ أَنَّهُ وَاطَأَ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْكَتَابِ عَلَى خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ سَنَةَ « ٢٩٦ »
ثُمَّ نَكَصَ عَنْ عَزِيمَتِهِ فَقَتَلَهُ الْمُتَأَمَّرُونَ . كَمَا جَاءَ فِي الْكَامِلِ فِي حَوَادِثِ هَذِهِ السَّنَةِ .

(٢) تَرْجَمَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ « ٧ : ٣٧٩ » وَذَكَرَ أَنَّهُ
تَوَفَّى فِي سَنَةِ « ٣١٩ » هـ . وَقِيلَ إِنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ « ٣١٧ » وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ
« ١ : ١٥٠ » وَالسَّمْعَانِيُّ فِي « الْعَلَّافِ » مِنَ الْأَنْسَابِ ، وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي « الْعَلَّافِ »
مِنَ اللَّبَابِ ، وَالْوَفِيَّاتِ « ١ : ١٥٠ » طَبْعَةُ بِلَادِ الْعَجَمِ « وَنَكَتُ الْهَمِيَّانِ لِلصَّفْدِيِّ
« ص ١٣٩ » وَهُوَ صَاحِبُ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ فِي رِثَاءِ الْمُبَرِّدِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

ذَهَبَ الْمُبَرِّدُ وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ وَلِيَدَّهِنَ مَعَ الْمُبَرِّدِ ثَعْلَبُ
« مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٢ : ١٣٩ » وَلَيْسَتْ هِيَ لثَعْلَبِ كَمَا ذَكَرَ كَمَالُ الدِّينِ بَنِ
الْأَنْبَارِيِّ فِي « نَزْهَةِ الْأَلْبَاءِ ص ١٥٦ » طَبْعَةُ عَلِيِّ يَوْسُفَ بِمَصْرَ .

(٣) قَالَ يَاقُوتُ : « مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعَلَّى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ الْأَزْدِيُّ
(كَذَا) النَّحْوِيُّ اللَّغْوِيُّ ، رَوَى عَنْ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَأَبِي كَثِيرٍ الْأَعْرَابِيِّ وَابْنِ
لَنَكِّ الشَّاعِرِ وَالصَّوْلِيِّ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَ دَرِيدٍ اللَّغْوِيَّ إِجَازَةً وَغَيْرَهُمْ ، وَلَهُ شَرْحُ
دِيْوَانِ تَمِيمِ بْنِ مِقْبَلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ » . « مُخْتَصَرُ ج ٧ ص ١٠٧ » وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي بَغْيَةِ
الْوَعَاةِ « ص ١٠٦ » .

(٤) ذَكَرَ ابْنُ الدَّبِيثِيِّ ذَاكِرًا هَذَا فِي تَارِيخِهِ قَالَ : « ذَاكِرُ بْنُ كَامِلِ بْنِ
أَبِي غَالِبٍ . . . الْحَفَافُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَذَّاءُ أَخُو أَبِي بَكْرِ الْمُبَارَكِ . . . سَمِعَ بِإِفَادَةِ
أَخِيهِ الْمَذْكُورِ ، الْكَثِيرِ مِنَ الشُّيُوخِ . . . وَبُورِكَ لَهُ فِيمَا سَمِعَهُ حَتَّى حَدَّثَ سَنِينَ كَثِيرَةً ، =

الأصبهاني قال أخبرنا أبو القاسم علي بن حسين الرَّبَّعِيُّ أخبرنا أبو الحسن
 الماوردي حدثنا أبو عبد الله محمد بن المَعْلَى إِمْلَاءً قال : أنشدتنا
 قبيحة مَوَلَاة العباس بن الحسن قالت أنشدنا أبو بكر العَلَّاف البغدادي
 لنفسه :

قُلْ لِمَنْ يُبْرِمُ الْمَرِيضَ فَلَوْ عِدْتُ تَ صَحِيحاً لَعَادَ ذَاكَ مَرِيضاً
 لَا تُطِيلُ عِنْدَهُ الْجُلُوسَ فَيَزِدَا دَ طَوِيلاً مِنَ السَّقَامِ عَرِيضاً
 قُلْ لَهُ كَيْفَ أَنْتَ وَادْعُ لَهُ اللَّهَ هَ وَعَجِّلْ عَنِ الْعَلِيلِ النُّهُوضَا
 فَإِذَا كَانَ مَنْ يَعُودُ مُطِيلاً لَمْ يَكُنْ عَائِداً وَكَانَ بَغِيضَا (ط ٥)

أَنبَأَنِي مُحَمَّدٌ^(١) بن عبد الواحد الهاشمي عن محمد بن عبد الله قال
 أخبرنا المبارك بن عبد الجبار إِذْنًا قال أخبرني أَقْضَى الْقَضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ
 عَلِيُّ الْبَصْرِيُّ [الماوردي] قراءة عليه حدثنا أبو عبد الله محمد بن المَعْلَى بن
 عبد الله الْأَزْدِيُّ إِمْلَاءً قال أنشدتنا قبيحة مَوَلَاة العباس بن الحسن
 قالت أنشدنا أبو بكر بن العَلَّاف لنفسه :

=وكان صالحاً قليل الكلام ، مضى على الصحة والاستقامة . . . توفي ذاكر بن
 كامل يوم السبت عشية سادس رجب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة عن ست
 وثمانين سنة تقريباً . . . » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة
 ٤٩ » وله ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي « نسخة الدار المذكورة ١٥٨٢ الورقة
 ٦٠ » جاء فيها أنه كان أُمِيًّا .

(١) كان من ذرية المتوكل على الله ويعرف بابن شُفْنَيْنِ ، ولد سنة ٥٤٩
 وسمع الحديث من عدة شيوخ وتفرد بالرواية عن بعضهم ، وكان جليل القدر
 فاضلاً حسن الطريقة ، توفي في بغداد سنة « ٦٤٠ هـ . » التكملة لوفيات النقلة ،
 نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ، ج ٢ الورقة ٢٩٧ .

كَأَنَّكَ بِالْمَصْرَعِ الْكَائِنِ وَجِسْمِكَ فِي صُورَةِ الْبَائِنِ
 وَقَدْ صِرْتَ فِي أَمَلٍ خَادِعٍ كَذُوبٍ إِلَى أَجَلٍ حَائِنِ
 وَقَامَ الَّذِي صُنَّتْهُ بُرْهَةٌ يَحُثُّ عَلَى نُقْلَةِ الصَّائِنِ
 فَمِنْ نَاقِلِينَ إِلَى غَاسِلٍ إِلَى حَامِلِينَ إِلَى دَافِنِ
 فَلَمَّا أَرْتُهُنْتَ بَدَارَ الْبَلِي حَصَلْتَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّاهِنِ
 وَقَدْ كُنْتَ تَسْكُنُ فِي ظَاهِرٍ فَأَصْبَحْتَ تَسْكُنُ فِي بَاطِنِ
 سَتَّارُكَ بَيْتًا وَثِيقَ الْبِنَاءِ إِلَى بَيْتِكَ الْمَظْلَمِ الْوَاهِنِ
 وَدَارًا يَعِيشُ بِهَا السَّاكِنُونَ إِلَى مَنْزِلِ مَيِّتِ السَّاكِنِ
 فَلَا يَغْنَبَنَّ أَمْرُو نَفْسَهُ فَوَيْلٌ مِنَ الْغَبْنِ لِلْغَابِنِ

(و٤٦)

سِتُّ النِّسَاءِ بَدَتْ طُولُونَ التَّرْكِي

كَانَتْ ذَاتَ أَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ ، وَنِعْمَةً ظَاهِرَةً ، وَعَطَاءً وَافِرًا . قَرَأْتُ عَلَى
 الْعَدْلِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الشَّافِعِيِّ قُلْتُ لَهُ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ^(١)
 الْحَنْبَلِيِّ بِأَصْبَهَانَ . فَأَقْرَبَهُ ، قَالَ أَنبَانَا أَبُو الْمَحَاسَنِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي

(١) المشهور بهذه الكنية في عصر محب الدين محمد بن النجار الشافعي بأصبهان « أبو عبد الله محمد بن مكى بن أبي الرجاء الملقب تقي الدين » ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام في وفيات سنة ٦١٠ هـ . قال : « محمد بن أبي الرجاء أبو عبد الله الأصبهاني الحافظ ، أحد من عني بهذا الشأن ، وطلبه وأكثر منه . سمع . . . وروى عنه الزكي البرزالي والضياء المقدسي وجماعة من الرحالين ، وأجاز . . . » . « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ١٥٨٢ ، الورقة ١٨١ » ، وله ترجمة في ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٦٥ » .

[٦، ظ] ظفر بس^(١) الداعي العلوي في كتابه عن أبي الحسن محمد بن القاسم
 الفارسي قال سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصمبهازي يقول: سمعت
 علي بن عبد الجبار الصوفي يقول: زَوَّجَتْ سِتُّ النساء بنت طولون
 لُعبَةً من لُعبها فَأَنفَقَتْ في وَلِيمَتِها مائة ألف دينار، فلم تَلَبَثِ الكَثيرَ
 من دَهرها حتى رَأَيْتُها في سوقِ بَغدادِ تَتَعَرَّضُ للسؤالِ، فَرَأَها بعضُ الأَغنياءِ
 فَعَرَفَها فَمالَ لها: أينَ ما كُنْتَ فيه مِنَ النِّعيمِ؟ قالت: كُنّا نَرِصُدُ نَوائِبَ
 الدَهرِ فُجِئَنا وَتَرَكْتُ ديارنا بِالقَعرِ. قال: فما تَشْهَرِينَ؟ قالت: مِلاءُ بَطْنِي
 طَعاماً. فقال: هذا وَكِيلِي، انصَرَفِي إلى المَنازلِ. وأَمَرَ لَها بِعَشْرَةِ آلافِ
 درَهمٍ. فَقالت: يا أَخي عَلِيكَ بِمالِكَ، بَارَكَ اللهُ لَكَ فيه، أَمّا إِنَّهُ قد كانَ
 عِندَنا أَكْثَرُ من ذلكَ فلم يَبْقَ. وَأَكَلْتُ شَيْئاً وَوَلَّتْ وَهِيَ تَقولُ:

دَعِ الدُّنْيا لِعاشِقِها	سَيُصْبِحُ مِنْ ذَبائِحِها
أُرى الدُّنْيا وَإِنْ مَدَحَتْ	تَنْصُصُ عَلَى فُضائِلِها
فَلا تَفَرُّرُكَ رَاحَةً	تُصِيبُكَ مِنْ رِوايِلِها
فَإِنَّ سُرورَها سُمٌّ	وَحَتَفُكَ فِي مَنايِلِها
وَمُطَرِبُها بِمَعزَفِهِ ^(٢)	يُؤوِبُ إِلَى نِوائِلِها

(١) هكذا ورد في نسخة الأصل والذي نعلمه قريباً منه « ظفر بن الداعي
 العلوي » قال منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه في تنمة فهرست رجال الشيعة:
 « السيد أبو الفضل ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي العمري الأستراباذي، فقيه
 صالح، قرأ على الشيخ أبي الفتح الكراجكي ». « بحار الأنوار ٢٥ : ٧ » ونقل
 هذا الكلام ابن الحر العاملي في كتابه « أمل الآمل » .
 (٢) في الأصل « بمعرفة » ولا محل للمعرفة فيه وإنما العبرة في صيرورة المطرب
 بمعزفه إلى النوائح.

سَرِيرَةُ الرَّائِقِيَّةِ^(١)

ذكر ثابت^(٢) بن سنان بن قرّة أنّها كانت مولدةً سمراء ، حسنة الغناء ،

وكانت لابنة ابنِ حمدون النديم ، فاشتراها منها أبو بكر محمد بن رائق الأمير [٧، ظ]

بثلاثة عشر ألف درهم ، وأخذ منه ابن حمدون ألف دينار ، على سبيل

الدلالة ، ورزق منها أبو بكر ولدًا لم يَعِش . وقُتِل ابن رائق عنها فتزوجها

أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان . وتُوفيت يوم الثلاثاء لثلاث

عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

(١) منسوبة إلى أبي بكر بن رائق الآتي ذكره في ترجمتها ، وأخبار محمد بن

رائق مستفيضة في التواريخ ، وقد قتل سنة ٣٣٠ « الأوراق : أخبار الراضى والمتقى »

لأبي بكر الصولى « ص ٢٢٦ » وغيرها وتجارب الأمم لمسكويه « ٦ : ١٩ - ٢٨ »

والكامل في حوادث سنة ٣٢٩ وسنة ٣٣٠ .

(٢) ترجمة القفطى في تاريخ الحكماء « ص ٧٧ من الطبعة المصرية وابن

خلكان في ترجمة جده « ثابت بن قرّة بن هارون » . « الوفيات ج ١ ص ١٠٧ من

طبعة بلاد العجم » . قال القفطى : « وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في

الآفاق الذى ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب وهو من سنة نيف وتسعين

ومائتين وإلى حين وفاته في شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (كذا) وعليه ذيل

ابن أخته هلال بن المحسن بن إبراهيم . . . » . مع أنه ذكر أن وفاته كانت

سنة « ٣٦٥ » .

خَاتُونُ^(١) السَّفَرِيَّةِ

كانت حَظِيَّةُ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاه . وَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا وَسِنْجَرَ^(٢) ، وَكَانَتْ تَتَدَيَّنُ ، وَكَانَ لَهَا سَبِيلٌ^(٣) يُخْرِجُ إِلَى طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَبَحِثَتْ عَنْ أُمِّهَا وَأَهْلِهَا حَتَّى عَرَفَتْ مَكَانَهُمْ ثُمَّ بَذَلَتْ الْأَمْوَالَ لِمَنْ أَتَاهَا بِهِمْ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَدَخَلَتْ أُمُّهَا عَلَيْهَا ، وَكَانَتْ فَارَقَتْهَا مِنْذَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، جَلَسَتْ بَيْنَ جَوَارٍ يُشَبِّهْنَهَا حَتَّى تَنْظُرَ هَلْ تَعْرِفُهَا أَمْ لَا ؟ فَلَمَّا سَمِعَتْ الْأُمَّ كَلَامَهَا نَهَضَتْ إِلَيْهَا فَقَبَّلَتْهَا وَاعْتَنَقَتَا ، وَأَسْلَمَتِ الْأُمُّ . وَلَمَّا تُوْفِيَتْ خَاتُونُ قَعْدَ لَهَا السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ فِي الْعَزَاءِ^(٤) . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ [تَذَكَّرْ]^(٥) فِي نَوَادِرِ التَّارِيخِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَا نَعْلَمُ امْرَأَةً وَلَدَتْ خَلِيفَتَيْنِ أُمَّ مَلِكَيْنِ سِوَى وَلَادَةِ^(٦) بِنْتِ

(١) ترجمها أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم « ٩ : ٢٢٨ » و« مرآة الزمان » مخ ٨ ص ٩٨ « وكانت وفاتها سنة « ٥١٥ » .

(٢) ترجم ابن خلكان « سنجر » في باب السين من الوفيات ومحمدًا في باب الميم ، وترجمة ملكشاه مثبتة في المنتظم « ٩ : ٦٩ » وأخبارهم جميعًا مذكورة في كامل ابن الأثير وكذلك تراجمهم ، وللسلطان محمد ترجمة في مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٦٩ » .

(٣) السبيل في طريق مكة هو مثل ما ذكر في ترجمة سلجوق « ص ١١٨ » من إخراج الصدقات في الطريق المذكور من الماء والزاد والعتاد والأدوية للمحتاجين والمرضى .

(٤) راجع كيفية القعود للعزاء والوعظ فيه « المنتظم ٩ : ٢٢٢ » .

(٥) زيادة واجبة نقلتها من المنتظم .

(٦) هي ولادة العباسية ، ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني « ١ :

٢٣٩ طبعة دار الكتب المصرية » والطبري في تاريخه « ١ : ١١٧٤ طبعة ليدن » وابن عبد ربه في العقد « ٢ : ٣٢٧ طبعة مصر الأولى » .

العباس، فانها ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان ووليا الخلافة، والخيزران ولدت للمهدي الهادي والرشيد، ووليا الخلافة، وشاهفرند^(١) ولدت للوليد يزيد وإبراهيم^(٢) ووليا الخلافة. وهذه ولدت لملكشاه محمداً وسنجر ووليا السلطنة.

خاتون^(٣) زوجة السلطان ملكشاه

وهي أم السلطان محمود^(٤)، توفي أبوه وهو صغير، فوُلِّيَ الملك بعده^(٥)

(١) ورد ذكرها بهذه الصورة في النجوم الزاهرة « ١ : ٢٩٩ طبعة دار الكتب المصرية ، وجاء في تاريخ الطبري في حوادث سنة ١٢٤ هـ . من خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وفي الكامل « شاه آفريد » وفي بعض نسخ مروج الذهب للمسعودي « سارية » وهو تصحيف « ٣ : ١٥٧ طبعة دار الرجاء بالقاهرة » . وهي شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد وآخر ملوك الفرس الساسانيين قيل إن قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الوليد بن عبد الملك غزا ما وراء النهر فظفر بابنتي فيروز فبعث بهما إلى الحجاج بن يوسف الثقفي فبعث الحجاج بإحدهما وهي شاهفرند إلى الوليد المذكور فأولدها يزيد ابنه .

(٢) في مروج الذهب « ٣ : ١٥٣ » أن أم إبراهيم كانت تسمى « بربرة » .

(٣) تقدمت الإشارة إليها في ترجمة ابنتها « ماه ملك » « ص ١٠٩ » ، وفي

المنتظم لابن الجوزي « ٩ : ٦٢ » أن اسمها « زبيدة خاتون » ثم ترجمها باسم « ترکان خاتون » « ٩ : ٨٤ » وفي الكامل في حوادث سنة ٤٨٥ أن اسمها « ترکان خاتون » وهو المشهور كما جاء في « أخبار الدولة السلجوقية ص ٧٤ ، ٧٥ » لصدر الدين الحسيني ، وأخبارها في المنتظم « ٩ : ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٤ » ولها في النجوم الزاهرة خبر « ٥ : ١٦٢ » ، وقد جاء فيه أن « زبيدة » هي والدة « بركيارق ابن ملكشاه » . وكذلك في أخبار الدولة السلجوقية « ص ٧٥ » . ٧٧ لصدر الدين الحسيني و « ص ٧٦ » من أخبار الدولة السلجوقية للعماد الأصبهاني .

(٤) أخباره مع أخبار والدته ترکان خاتون في المراجع المقدم ذكرها . وفي

بتدبير أمّه وكان معها عشرة آلاف مملوك تركي^١؛ دبّرت الملك وقادت
الجيش إلى أن توفيت في شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وأربعمائة . ولما
ماتت انحلت أمر ابنها محمود بموتها ، وتعبّ ذلك موته في شوال من
السنة المذكورة .

زُبَيْدَة^(١) بنت بَرْ كِيَارُق

زوجة السلطان مسعود^(٢)، كانت جميلة ، موصوفة بالحسن ، توفيت
في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

(تمّ كتاب جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء مع ما أضيف
إليه من مشهورى (كذا) جهات السادة الأمراء ، والجلّة من الوزراء ،

أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني « ص ٧٤ » ، ولعماد الدين الأصبهاني
« ص ٧٦ طبعة القاهرة » .

(١) ذكرها العماد الأصبهاني في أخبار الدولة السلجوقية « ص ١٦٠ »
وذكر أبو الفرج الجوزي وفاتها بهمدان في سنة « ٥٣٢ » كما ذكر المؤلف . « المنتظم
١٠ : ٧٤ » . وكذلك ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة من الكامل . ولا يزال
قبرها معروفاً بهمدان في إيران ، وقد أخبرت به عند كونى بهمدان سنة ١٩٥٤ .
ولا يصح أن ينسب إليها غير هذا القبر ولا أن ينسب القبر إلى غيرها .

(٢) هو مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي المتوفى سنة
« ٥٤٧ » وكان سلطاناً فاتكاً ظالماً سكيراً سيئ الحكم ، له ترجمة في وفيات
الأعيان « ٢ : ٢١١ » من طبعة بلاد العجم « وهي أصح من الطبقات الأخرى .
والمنتظم « ١٠ : ١٥١ » و« مرآة الزمان » مختصر ج ٨ ص ٢١٢ » والكامل في حوادث
سنة ٥٤٧ وأخباره كثيرة في كتب التاريخ مثبتة في حوادث سنّى حكمه وإمارته .

في يوم الثلاثاء رابع شهر رجب الفرد سنة تسعمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وحسبنا الله ونعم الوكيل ، على يد مُعَلِّقِهَا
لنفسه محمد بن سالم الحناني^(١) « ؟ » .

(١) ذكر شمس الدين الذهبي الأنساب المقاربة لصورة هذه الكلمة الخطية في المشتبه وهي « الجياني والجباني نسبة إلى جباً من قرى اليمن والجنابي والحياني ، ولم نقف على اسم المعلق في كتاب آخر لنعلم إلى أي هذه الأنساب قد نسب ؟ . ومن الأنساب القريبة له أيضاً « الحناني » .

ملحق

(١) مما يلحق بأخبار « مؤنسة المأمونية » الواردة ترجمتها في الصفحة ٧٩ من هذا الكتاب خبرٌ جاء في كتاب نشرته « دائرة المطبوعات والنشر » في الكويت ، سُمي « الذخائر والتحف » وهو مجهول المؤلف ، وقد نُسب إلى القاضي الرشيد ابن الزبير^(١) وكتب تحته (القرن الخامس الهجري) وكل ذلك خطأ على خطأ وهذا نصه :

« وأهدت مؤنسة ، جارية المأمون بالله - إلى مُتَيِّم جارية على بن هشام ، وقد افتصدت ، وكان بينها وبين مُتَيِّم في حياة على بن هشام مكاتبة ومُواصلَة ، لمعرفة كانت بينهما ، قبل مصير كل واحدة منهما إلى صاحبها ، فأهدت إليها بعلم المأمون مَحْنَقَةً واسططها دُرَّة مثل بيضة العصفور ،

(١) ذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حميد الله في مقدمة الكتاب أنه مع سعيه لم يعثر على ترجمة القاضي الرشيد ، - ص ١٢ - مع أنه مترجم بتفصيل في خريدة القصر للعماد الأصفهاني « ١ : ٢٠٠ - ٢٠٣ » ومعجم الأدباء « ١ : ٤١٦ » وكتاب الروضتين « ١ : ١٤٧ » ووفيات الأعيان « ١ : ٥٣ » ، والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٧٣ » وبغية الوعاة « ص ١٤٦ » وشذرات الذهب « ٤ : ١٩٧ » ، « ٢٠٣ » وغيرها . صلب القاضي الرشيد أبو الحسن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير في سنة ٥٦٢ بالقاهرة . فهو من رجال القرن السادس الهجري لا القرن السادس ونسبة الكتاب المذكور إليه وهو من تأليف القرن الخامس - خطأ مبين يجب إصلاحه ، ولعله من مؤلفات ابن بابشاذ المشهور .

ودخارس^(١) قيمتها عشرة آلاف دينار وأربعة أحجار ياقوت أحمر، وأربعة أحجار زمرد عن يمينها وشمالها بين خرائد ذهب، وباقي المنخقة بلّح مضمّخ بغالية، فاستطرفت مُتَيِّمُ البَلّح المضمّخ بالغالية واستطابته، وما أكرت فرحاً بالباقي من الجوهر^(٢) .

(٢) وورد في الكتاب المذكور من أخبار « فضل الشاعرة » المقدم ذكرها في هذا الكتاب « ص ٨٤ » قوله : « وأهدت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد وكان يهواها ، في يوم فصاده هديةً كان من جملتها ألف جدى وألف حَمَل وألف دجاجة فائقة وألف طبق فاكهة وريحان وشراب وطيب كثير ونخب حسان^(٣) » .

(٣) ومن أخبار « قطر الندى بنت خمارويه » - ص ١٠٤ قوله : وأهدت قطر الندى بنت أبي الجيش خمارويه إلى المعتضد بالله ، في يوم نيز ، من سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، هدية كان فيها عشرون صينية ذهباً ، في عشر مشامٍ عنبراً ، وزنها أربعة وثلاثون رطلاً ، وفي عشر

(١) وردت هذه الكلمة في المطبوع المذكور بصورة « دخارس » ومعها « كذا » لخروجها عن تحقيق محقق الكتاب والصواب « دخارس » جمع الدخرسة وهي الدخريصة وهي بنيةة القميص كما في القاموس ، وقال محمد بن أبي الخطاب القرشي « بنائق القميص وهي الدخاريص تضيق من أعلى وتتسع من أسفل » . جمهرة أشعار العرب ص ١٧٧ .

(٢) الذخائر والتحف أو الهدايا والتحف « ص ١٩ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ١٩ » .

منها عشر مشام ند معجون (كذا) وزنها أربعة وثلاثون رطلاً ، وعشرون صينية فضة في عشر منها عشر مشام صندلاً ، وزنها خمسون رطلاً مخروماً ؛ وفي العشر الأخرى عشر مشام زعفران (كذا) وزنها خمسون رطلاً ، وعشرون صينية ذهباً مجرى بزجاج ، في عشر منها عشر مشام مسكاً ، وزنها نيف وثلاثون رطلاً ، وخمس خلع وشياً ، قيمتها خمسة آلاف دينار ، وعملت سماعات^(١) ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار ، وأُخرج من القصر ثلاثون وصيفةً يرقصن مع الفراغنة ، وكان مما عمل للمعتضد قبةً أبنوس ارتفاعها عشرة أزرع ، وتحتها سرير أبنوس إلى ثلثيها مضطرب بالذهب يُصعد إليه بدرج ، وجُل خلالها ثياب رقاق ليرى منها ما مضى عليه^(٢) من الدراهم ، وكان قد اعتد^(٣) لذلك دراهم بقيمة ثلاثة عشر ألف دينار ، في كل درهم ثلاثة دراهم ، وكان فيما أهدت إليه بنت أبي الجيش في هذا اليوم بيت رشيدى وبيت طبرى مذهب ، فاستحسنهما ، ووجه المعتضد إلى أبي الجيش وإخوته بخلع قيمتها ثلاثة وخمسون ألف دينار^(٤) .

(١) جمع السماجة وهي احتفال وملابس لما يشبه الكرنفال عند الغربيين .

(٢) هكذا ورد في المطبوع . ولعل الأصل « ما يفض » أى ما يفرق وينثر .

(٣) في المطبوع « اعتد » ولا وجه له .

(٤) الذخائر والتحف أو الهدايا والتحف « ص ٣٨ ، ٣٩ » .

ذخائر العرب

مجموعة فريدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب لبعث الكنوز العربية الخالدة،
تقدم إلى جمهور القراء في أنصع حلة من التحقيق الدقيق وجمال الإخراج .

- ١ - مجالس ثعلب (قسمان)
- ٢ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم
- ٣ - إصلاح المنطق لابن السكيت
- ٤ - رسالة الغفران لأبي العلاء المعرى
- ٥ - ديوان أبي تمام (شرح التبريزى) ظهر منه المجلدان الأول والثانى
- ٦ - حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى
- ٧ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام
- ٨ - حى ين يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردى
- ٩ - الورقة لمحمد بن داود بن الجراح
- ١٠ - المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد (قسمان)
- ١١ - نسب قريش للمصعب الزبيرى
- ١٢ - إعجاز القرآن للباقلانى
- ١٣ - اللزوميات لأبى العلاء المعرى ظهر منها الجزء الأول
- ١٤ - الفصوص اليبانة لابن سعيد أبى الحسن على بن موسى الأندلسى
- ١٥ - تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى
- ١٦ - ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرومانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى
- ١٧ - الإحاطة فى أخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب
- ١٨ - مذكرات الأمير عبد الله
- ١٩ - سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبى
- ٢٠ - طبقات فحول الشعراء لابن المعتز
- ٢١ - شجر الدر للإمام أبى الطيب عبد الواحد بن على اللغوى
- ٢٢ - الإشارات والتنبيهات لأبى على بن سينا
- ٢٣ - البخلاء للجاحظ
- ٢٤ - ديوان امرئ القيس
- ٢٥ - الموازنة
- ٢٦ - شرح ديوان صريع الغواني لمسلم بن الوليد الأنصارى
- ٢٧ - أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذرى
- ٢٨ - نساء الخلفاء لتاج الدين أبى طالب على

دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع

DS
234
I34

Ibn al-Sā'ī, 'Alī ibn An.
Nisa' al-Khulafa'

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY
